# ديوان

# محمد الفيتوري

دار العودة - بيروت

الطبعة الاولى ١٩٧٢

الطبعة الثانية ١٩٧٤

الطبعة الثالثة ١٩٧٩

دار العوده – بيروت

كورنيش المزرعة – بناية ريفيرا سنتر

هاتف ٣١٨١٦٥ – ٣١٠٨٤٠

# مقـــدمة

## حول تجربتي الشعرية

بقلم محمد الفيتوري

---

أكتب تجربتك الشعرية ..

دائماً تصدمني هذه الرغبة .. أن أكتب تجربتي في معاناة الشعر والحياة .

وأنا لا أجهل أن لديّ الكثير ، مما أقوله ، حول هــذه الحياة ، البالغة العمق ، إلى درجة الغموض ، البالغة التنوع ،

إلى حد التعقيد والإدهاش .. حياة الصبي الأسمر القصير النحيل ، الذي مـا زال يلوح في مرآتي حتى الآن ، وهو يرفل في أعوامه الاثني عشر ، حاملاً في قلبه ، وفي عينيه ، إحساسه الخاص ، بتفرّده وعذابه وغربته .

لقد كان كل شيء حوله ، يؤكد أن التفرد والعـذاب والغربة ، أشد الصفات التصاقاً بواقعه البيئي ، والاجتماعي والنفسي ..

كان وحيد أبويه ، إلا من شقيقة وحيدة ..

وماذا في ذلك ؟

إن عشرات ، بل مئات الألوف ، من الأطفال ، ممن هم في مثل عمره ، وظروفه ، يجدون أنفسهم ، فجأة ، كما وجد نفسه فجأة ، في مواجهة قدر الوحدة والانفراد .

إنني الآن أطرح هذا السؤال الإستنكاري ، بعد أن ازدادت بعداً ، جوانب المسافة الزمنية والمكانية ، التي نقف عليها معاً -أنا والصبي الأسمر القصير النحيل- وجهاً لوجه .. أصبحت المسافة الزمنية ، قرابة ربع قرن ، بينما تجاوزت المسافة المكانية عشرات الألوف من الأميال .

كان قصيراً ونحيلاً ، وذا بشرة أميل إلى السواد .

وماذا في ذلك أيضاً ؟

لا شك انه كان على قدر من النقص ، أو الجنون .. أو ربما كان شعوره بالنقص ، هو الذي أوقفه – حينذاك – عند حافة الجنون .. أو ربما كان عكس ذلك !

هل الشعر هو الجنون ؟ أم الجنون هو الشعر ؟ لماذا كان يؤثر الانطواء على نفسه ؟ لماذا كان يبدو في نظر الآخرين ، متكبراً وشاذاً ومزهواً بنفسه ، إلى حد إثارة الغيظ والاستهزاء ؟

لماذا كان يكره الأضواء والضوضاء والزحام ؟

لماذا أحب زيارة القبور ، وصلاة الفجر ، وكره حفلات الأعراس ، مواسم الأعياد ؟

الآن أنا أراه .. وقد أتم حفظ القرآن الكريم كله ، عن ظهر قلب ، تأهباً لدخول الأزهر الشريف ، كما تقضي رغبة والديه .

وأذكر أنه عانى في حفظه كثيراً ، كم من امتحان رسب

فيه ، وعوقب على نسيانه أشد العقاب ، من عصا شيخـــه الضرير السمين – كانوا يعلقونه من قدميه في « الفلكـه » – قطعة من الجريد ، مشدود إلى طرفيهـــا ، قطعة من حبل مرخاة عند الوسط بعض الشيء ، بحيث تتسع لقدمي مثله – ويأخذ اثنان من أنداده، يقفان عن اليمين واليسار، في الضغط عليهما حتى تصير قدماه بينهما ، مسطحتين في وضع متواز ، ومن ثم تبدأ عصا الفقيه، حركتها البندولية، صعوداً وهبوطاً، فوق قدميه ، دونما هوادة ، أو استجابة لصرخاته وأناتـــه الضعيفة المتقطعة ، ولم يكن « سيدنا » يكف عن ممارسة هذه العملية ، إلا بعد أن تكون قد تعبت ذراعاه .

ويعود الصبي إلى بيته ، منكسر الخـــاطر ، متورم القدمين ، حاملاً تحت إبطيه ، حذاءه الذي سيظل لبضعـة أيام قادمة ، ضيقاً عليهما ، حتى تعودا إلى حالتهما الطبيعية .. وكان يغيظه كثيراً ، أن أمه وأباه ، لم يكونا يبديان أقـل قدر من التذمر أو الاكتراث ، وهما يريانه في مثل حالتـــه اليائسة هـــذه ، فلقد نذراه ، ليكون واحداً من سدنة كتاب الله الكريم .

ولأمر ما ، تراءى له أن يبحث عن ذاته ، فوجد نفسه مضطراً إلى أن يقرأ ، ثم يختار أشياء مما يقرأ ، ثم يحاول أن يقلد شيئاً مما أعجب به .. ثم تصور أخيراً ، أنه قد وجد نفسه .

وفي مرحلته هذه ، استطاع أن يعثر ذات يوم ، على كتاب ثمين في مكتبة أبيه ، عثر على سيرة عنترة بن شداد .. من يكون عنترة هذا ؟ فارس ؟ شاعر ؟ عاشق ؟ قاطع طريق ؟

وراح يلتهم بكل ما في روحه من تشوق ظامىء ، إلى الحياة .. الجزء الأول ، ثم الجزء الثاني .. حتى أكمل بقية أجزاء الأسطورة الشعبية ، ومنها عرف أن عنترة فارس لا يشق له غبار ، وانه عاشق لأجمل صبايا قبيلة عبس ( عبلة ) وانه أيضاً -وهذا مهم جداً- عربي أسود البشرة.. أسود مثله ! وأعاد قراءة السيرة ، من البداية ، حتى أنه ليذكر الآن، كيف استطاع عنترة الابن غير الشرعي لشداد، أن يفرض ذاته ، وأن يؤكد وجوده ، وهو الشخص الضائع النسب ، ما بين الحرية والاسترقاق ، في مجتمع الجاهلية

المتعصب ، الذي لا سيادة فيه ، إلا للأقوى ، والأشرف ، والأغنى ، ولا حياة فيه للعبيد والمساكين والفقراء .

- كر يا عنترة

- إن العبد لا يحسن الكر

- كر وأنت حر ..

ووجدت الانفعالات الكثيرة الحبيسة والمجهولة ، التي كانت تتماوج داخل رأسه الصغير الكبير ، في شعر وقوة وضخامة عنترة بن شداد - كما يتخيلها - متنفساً لها ..

ثم جاء الوقت ، الذي أفرغت فيه شخصية عنترة الاسطورية ، لكثرة ما عايشها ، من كل معطياتها النفسية ، ودلالاتها الإيحائية .. لم تعد هذه الشخصية ذات قدرة على تلوين أحلامه ، وإشباع نوازعه ، وكان عليه أن يبحث عن عنترة آخر ، في كتاب جديد .

ووقعت عيناه على رحلة بني هلال، من الشرق إلى الغرب، وتعرف على أبي زيد الهلالي سلامة ، والزناتي خليفة ، ودياب، والأميرة الناعسة ، وكانت متعة لا حد لها ، عندما يشارك

بخياله ، في المعارك التي خاضوها ، والمشاق التي تعرضوا لها ، خلال رحلتهم التاريخية ، وكثيراً ما استغرقته رؤية فارس بني هلال الأسمر ، وهو يصول ويجول ، ممتطياً صهوة جواده، رافعاً رمحه ودرقته ، منشداً في الميدان :

يقول أبو زيد الهـلالي سلامه
ولا كل من ركب الحصان خيال

وهكذا تعددت مصادر اشباع احتياجاته الروحيـة والعاطفية ، وقرأ حمزة البهلوان ، والأمـيرة ذات الهمة ، وسيف بن ذي يزن ، وفيروز شاه ، وألف ليلة وليلة ، ولما نضب هذا المعين ، بدأ يتقرب من بعض الكتب الأخرى ، التي تصور انها قد تتضمن شيئاً ، يبقي عليه ، عالمه الخيالي الخاص الذي شاده لنفسه .. وتنقل ما بين شيرلوك هولمز ، وطرزان ، وأرسين لوبين ، وبدا له أن يقرأ بالضرورة ، أعمالاً أدبية أخرى ، مترجمة عن لغاتها الأصلية، مثل البعث، وأنا كارنينا ، والحرب والسلام لتولوستوي ، وفـاوست

لجوتـه ، وآلام فرتر لجوتـــه ، وغـــادة الـكاميليا وماجدولين .

والحق أن أباه - رحمه الله - لم يكن يضن عليه أبداً ، بشيء مما يريد ، فقط عندما كان يتعارض ما يحب أن يقرأ ، مع ما يجب أن يقرأ أو أن تتهدد نزوعـاته الجانبية ، تلك المؤهلات التي لا بد من أن تتوفر لديه ، ليكون أحد طلبـة الأزهر الشريف .

وكانت الحرب العالمية الثانيـة ، تموت اختناقاً في أيدي الحلفاء ، وأسماء هتلر والنازية ، وموسوليني والفـــاشية ، وستالين والبلشفيك ، وروزفلت وتشرشل ، أشبـــه برموز وألغاز ، تتحدى مداركه ومستوى فهمه ، بكل ما تنطوي عليه من معان ودلالات .

ماذا كانت تعني الحرب بالنسبة له ؟

وما الذي كان يمكن أن تعنيه بالنسبة لمراهق في مرحلته، أكثر من الخوف ، من ذلك الشيء المجهول .. من الموت ..

وشهدته حواري الاسكندرية وأزقتها المتربة المتسخة ،

وهو يتدحرج مع الهاربين ، إلى الخنادق والمخابىء ، لينزوي معهم بعيداً عن شظايا القنابل ، ونيران الطائرات المغيرة ، التي طالما روعت غاراتها الليلية المتواصلة ، سكان المدينة الجميلة الهادئة ، النائمة في أحضان البحر الأبيض ، وكثيراً ما أحالت أحياءها ومبانيها ، إلى خرائب وأنقاض .

وانتهت الحرب ..

ودخل الأزهر الشريف

ومارس أنماطاً جديدة ، من العلاقات والمعارف ، لم يكن قد ألفها من قبل .

وفي زحام ألفية ابن مالك » ومشاكل النحو والاعراب ، وقضايا الفقه والشريعة ، ومجالادت الفلاسفة والمتكلمين ، أحس بالغربة والحزن ، يخيمان على روحه ، وتكادان تخنقان أنفاسه ..

وكتب حينذاك شيئاً ، عن الحزن والغربة ، عرف فيما بعد ، أنه ليس إلا مقدمة الشعر ..

كان هذا الشيء الذي كتبه وقرأه على نفسه ، صورة

طبق الأصل ، لما قرأه لشعراءَ آخرين ، يسكنون بطون الكتب ، ويطلون عليه من شرفات العصور .. طرفة بن العبد ، وامرؤ القيس ، وعمرو بن أم كلثوم ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة بن شداد ..

لكم كان سعيداً وفخوراً ، حين اكتشف أن فارسه وشاعره الأسطوري ، أحد أولئك الذين بلغ من عظمة قصائدهم ، وسمو قيمتها الفنية ، إن كتبت بماء الذهب ، وعلقت على أستار الكعبة ، وسميت بالمعلقات .

وقال له أحد شيوخه ، وقد لمس شغفه بقراءة الشعر ، إن شعراء المعلقات ليسوا نهاية الشعر ، هناك شعراء الصعاليك ، ولا تنسَ أن الشعر ازداد عذوبة وجمالاً ، بعد أن باركته حضارة الدولة الإسلامية .

وأعجبه من هؤلاء الشريف الرضي ، وتلميذه النابغة مهيار ، والمعري والمتنبي وابن الرومي ، وأبو تمام ، ورفض البحتري ، وأبو العتاهية ، وأبو نواس .

كان الأولون يمثلون له ، طاقة الإبداع وأصالة التجربة الوجدانية ، عند الشاعر العربي ، بينما لم يكن يصنع الآخرون ،

أكثر من أنهم يضعون في يديه مفاتيح المهارة الفنية ، وعبقرية الذكاء ، وأصول الصياغة الشعرية .

وخلال قبوله ورفضه ، كان يمارس كتابه أشيائه الخاصة ، التي كان يسميها شعراً ، ويحرص على أن يضمنها دفتي كتاب .

وكما خيل إليه أنه شاعر ، خيل إليه أنه عاشق .

وكتب أكداساً هائلة ، من الصفحات ، في شكوى زمانه الغادر ، وبكاء حبه اليائس ، ورثاء شبابه الغض ، الذي اجتاحته الشيخوخة في الريعان .

وكبر قليلاً ، وكبرت معه أشياؤه الخاصة .. إحساسه بالغربة والحزن والشعر .. وكان يزداد انطواء على نفسه ، كلما ارتطمت عيناه بحقيقة جديدة من حقائق الموت والحياة .

- ٢ -

.. دائماً تحاصرني عيونهم .. ضحكاتهم .. تتابعني حيثما أسير .. انهم يسخرون مني .. منظري يثير فيهم روح

السخرية والاستهزاء . لقد فضضت سر اللغز .. سر المأساة التي ولدت معي .. إنني قصير وأسود ودميم .. »

هكذا كان يقول لنفسه ، كان يفضح نفسه ، فقط أمام نفسه .. وخرس فلم يستطع أن يجيب ، وبعد ذلك بأعوام قلائل ، استطاع أن يتأوه :

فقير أجل .. ودميم دميم
بلون الشتاء ، بلون الغيوم
يسير فتسخر منه الوجوه
وتسخر حتى وجوه الهموم
فيحمل آلامه في جمود
ويحضن أحزانه في وجوم
ولكنه أبداً حالم
وفي قلبه يقظات النجوم

* * *

فقير .. فوجه كأني به
دخان تكثّف ثم التحم
وعينان فيه كأرجوحتين
مثقّلتين بريح الألم
وأنف تحدّر ثم ارتمى
فبان كمقبرة لم تتم
ومن تحتها شفة ضخمة
بدائيةٌ قلما تبتسم
وقامته لصقت بالتراب
وإن هزئت روحه بالقمم

* * *

وقالوا : أحب ..

وردّدت الألسن الساخرات :

أحب .. أحب

.. .. ..

لقد كان أليماً ، ومطعوناً إلى حد الاحتراق .. ولم يكن يفوقه في إحساسه الهائل بعمق الألم وقتامة الواقع ، إلا شاعر واحد ، خلاف جميع الشعراء العرب ، الذين قرأ لهم فيما بعد.. شاعر واحد ، أو ربما شاعران لا أكثر .. الأول اسمه ، أبو القاسم الشابي ، والثاني اسمه ، الياس أبو شبكة ..

لقد أعطاه الشاعر الأول ، نموذجاً كاملاً ، لمقدرة الشاعر الصادق ، في التعبير عن الألم ، وفلسفة الأيمان به :

وإذا ما استخفني عبث الناس
تبسمت في أسى وجمود
بسمة مرة كأني أستل
من الشوك ذابلات الورود

بينما أعطاه الشاعر الثاني ، نموذجاً رائعاً ، للقدرة على قهر الألم ، والاستعلاء عليه :

وحملت تابوتي.. وسرت بمأتمي

# - ٣ -

« لا تستطيع معدتي ، هضم أشعـار المازني والعقاد ، أو حتى استاذهما عبد الرحمن شكري .. أمـا مدرسة أبوللو ، فلا أجد في قصائد رائدهـا أحمد زكي أبو شادي ، حاجتي .. صحيح أن لديه من الصور والأخيلة ، ما يشوقني ولكني أجد الصورة ، والموسيقى ، مضافـاً إليهما روح الشعر ، ووهجه وحيويته ، في القصائد القليلة ، التي قرأتهـا لعبقري الشعر السوداني التجاني يوسف بشير ، وشاعر الطبيعة المصرية ، أحمد عبد المعطي الهمشري .

انهما ويليهما ابراهيم ناجي ، ومحمود حسن اسماعيل، وحسن كامل الصيرفي ، هم الشعراء .

وعلى صفحات الأعداد القديمة ، التي عثر عليها من مجلات « ابوللو » و « الامام » و « المقتطف » و «اللطائف المصورة» و « المجلة الجديدة » ، التقى بجبران خليل جبران ، ونسيب عريضه ، وفوزي المعلوف ، وإيليا أبو ماضي ، وميخائيل نعيمه ، ونعمة قازان .

« هناك شيء ما ، غير عادي، يشدني إلى هؤلاء الشعراء، ويملؤني إعجاباً بهم ..

إن النكهة التي أحسها في فمي، عقب قراءة أعمال الشعراء المهجريين تحيرني .. هل هي نكهة الجديد ؟ هل هي امتزاج الجديد حقاً بالقديم ؟

« التأملات الفلسفية العميقة» لجبران على وجه الخصوص.. أن كتابه « النبي » يجعلني أحس بتقارب شديد ، بين أفكاره وأفكار نيتشه ، في « هكذا قال زرادشت » ..

إلى أي مدى امتلأت رئتا جبران ، بمعطيات المنـــاخ النيتشوي ؟ رغم ذلك فإن جبران هو الإنسان ، وهو الشاعر ..

إنه غريب وحزين ومنكسر القلب مثلي.. أعماله الشعرية والنثرية ، وحتى صورته التي رسمها لنفسه ، توحي بذلك .. مـــا أروع أن يكون الانسان شاعراً ورساماً في نفس الوقت » .

وتوقف طويلا ، عند جبران، في «العواصف» و «الأجنحة المتكسرة » .. وحين وقعت في يده ، قصيدته الطويـــلة

« المواكب » فرح كالأطفال ، وضمهـا إلى صدره ، وأخذ يتعبدها في خشوع ..

« قد يجيء اليوم ، الذي أصبح فيه شاعراً ذا فلسفة ووجهة نظر في الكون ، وفي الحياة مثله .. جبران ذلك النبي الضائع . إن حبي له لا يعادله حبي لنعمة قازان » .

لماذا يا ترى ؟ هل لأن جبران كان مسيحاً يتعاطف مع المساكين والعبيد والفقراء ؟ وهو يحس انه مجرد واحد من هؤلاء ؟

وأثبت في مذكراته أيضاً : لقد عثرت اليوم على شاعر فرنسي اسمه شارل بودلير .. يكاد يفقدني صوابي .. إنه ذو طبيعة شعرية ، غير عادية ، قادرة على خلق الصور ، وتجسيد المشاعر والأفكار ، وتكثيف الأوضاع النفسية والاجتماعية ، في حالات فقدان تناسقها وانسجامها فنياً .. ان لديه بصيرة تنفذ إلى ما وراء الأشكال والمظاهر .. انني غارق هـذه المرحلة ، حتى الغيبوبة والدوار ، في عالم بودلير المخيف المعذب في أزهار الشر ..

الأروع من كل ذلك .. أن معبودته الأرضيـة ، جارية سوداء ، اسمها جان ديفال ..

بودلير الأرستقراطي الأبيض ، يحطم الفوارق الطبقية واللونية ، بطريقته الخاصة .

سيّان كان من أجل الجسد ، أو من أجـــل الشعر ، إن شارل بودلير يقترب مني أكثر فأكثر ، كلما تعمقت تجاربه وتمزقاته الحسية والوجدانية .

ذلك الشاعر الملعون .. الجرح والسكين، الضحية والجلاد.

إنني أنتمي إلى بودلير بصلة ما .. »

***

وفي عـــام ١٩٤٨ .. كتب أولى تجاربه الشعرية ، التي انصهرت فيها ، ذاتيته الصغرى ، في ذاتية إنسانية أعم .. الذات الافريقية .. انطلاقـاً من الخط النفسي ، الذي قدر عليه أن يكون خطاً فكرياً عميقاً ، يترسمه فيما بعد ، ويمضي فيه طويلاً ، ويكون اتجاهـــاً ومساراً له .. كتب قصيدته « إلى وجه أبيض » .

ألئن وجهي أسود ..
ولئن وجهك أبيض .. سميتني عبدا ..

ووطئت إنسانيتي .. وحقرت روحانيتي
فصنعت لي قيدا .

.. وتنهد مرتاحاً لأول مرة ، فقد كان عبثاً وضباباً ، كل ما كتبه قبل ذلك ، ما نشر منه وما لم ينشر .. كل ما كتبه قبل ذلك ، كان إجهاضاً لميلاد تجربته الانسانية الحقيقية ، التي يريد أن يتغنى بها ، وأن يعلنها على الجميع .

أريد أن أكون صادقاً مع نفسي أولاً ، وأن يكون ما أكتبه هو ما أحسه .. غير أنني أطمح إلى أن أتعرف على الوجه الآخر لشقائي .

ولا تحسبوا أني وحدي ، فمعي الملايين » .

* * *

ذات مرة ، التقيت في الخرطوم ، بأحد مواطنيّ ، ولم اكن قد رأيته من قبل ، وليست لي به سابق معرفة ، أنا لا أذكر اسمه الآن .. وحين قدمني باسمي إليه صديقي الشاعر الفنان عثمان وقيع الله ، أدهشني بثورته المفاجئة في وجهي .. وقال كلاماً كثيراً ، ما تزال تطن في أذني منه هذه الجملة :

ـ ما هذا الشعر الذي تكتبه يا أخي .. لقد فضحتنا .. إنني أكرهك ..

لقد أردت بالفعل ، أن أفضح واقعنا اللا انساني الأسود ، ولن أسمح لنفسي بالمساهمة في تزييف هذا الواقع القبيح ..

« وكان قد أصدر ديوانه الأول « أغاني افريقيا » .

« إن أحمد رشدي صالح ، وكامل الشنــــاوي ، وسلامه موسى ، وزكريا الحجاوي ، وأنيس منصور ، وفتحي غانم ، ورجاء النقاش ، وصفوة أخرى ، من رجالات النقد الأدبي ، والفكر السياسي العربي ، عرضوا لهذا الديوان .. أضافوا إليه ، من قيمهم النقدية ، ومفاهيمهم السياسية ، ومن مواقفهم وجهودهم ، في مجال التحليل والتفسير .

وهذا أحدهم ، الناقد أحمد رشدي صالح ، الذي كتب غداة صدور الديوان يقول[1] :

«أغاني أفريقيا ، خفقات قلب رقيق جديد .. متطلع إلى الحياة .. انه يدل على أن الفيتوري شاعر في مقدمة شعراء

---

(١) مجلة التحرير ١٩٥٥ .

المدرسة الواقعية .. من حيث القدرة والصناعة ، ومن حيث دقة الشعور ، وانتظام الصورة .. والفيتوري - كما قلت - له مستقبل . وليس المهم ، أن يكون للكاتب أو لشاعر ماضٍ يجلس عليه ، بل المهم أن يكون له مستقبل يرتقي إليه » .

وكان محمود أمين العالم ، قد أثار من قبل، عاصفة جدلية، حول المفاهيم الايديولوجية ، التي يستهدفها الديوان :

ومع تعدد نقاط الخلاف فيما بيننا ، فإني ولا أخفي ذلك، أحمل له قدراً كبيراً من المحبة والإعجاب، ومع ثقتي الأكيدة، في خطأ موقفه من هذا الاتجاه الشعري الجديد ، الذي تبلورت ملامحه ، في ديواني « أغاني افريقيا » .

هل كان الخطأ في الموقف ؟ أو أن الخطأ في التفسير ؟

في النظرية أم في التطبيق ؟

قلت له ، وأنا أجادله في مجلة « الآداب » البيروتية ، انك لا تستطيع أن تتعمق حقيقة مأساتي ، لأنك لا تستطيع أن تعيش تجربتي .

وقال لي ، انها مأساتك الخاصة ، تسقطها على قـــارة بأكملها ، على افريقيا .. انك شاعر مريض ..

قلت له ، وأنا أريد في هذه المرحلة من شعري ، أن أتطهر من مرضي ، بأن أبوح به .. لقــــد جرؤت على أن أكسر الصدفة من الداخل ، ولذلك تجدني أغني مبتهجاً بمادة حزني :

قلهـــا لا تجبن .. لا تجبن
قلها في وجـــه البشرية
أنا زنجي..وأبي زنجي الجد..
وأمي زنجيـــة ..
أنا أسود.. أسود لكني حر..
أمتلـــك الحريـــه
أرضي افريقيه، عاشت أرضي
عـــاشت افريقيه ..

قال لي ، إنك تمزق القضية ، وتمزق الطبقـــة ، وتمزق الكتلة الجماهيرية الواحدة ، بدعواك ان هناك قضيـــة منفصلة

للسود .. إن العامل الأبيض والعامل الأسود ؛ يرزحان تحت نير تاريخي واجتماعي واحد ، هو نير الرأسمالي الأبيض ، والرأسمالي الأسود .. نير الاستعمار والاستغلال . فالقضية إذن ليست قضية أسود وأبيض ، إنها قضية مستغَلّ ومستغِل .. قضية الكادحين وأصحاب رؤوس المال ..

قلت له : هذا حق .. وحق أيضاً ، هذه الوراثات والخصائص البيولوجية والسيكولوجية ، هذه المشاعر والانفعالات المركبة المعقدة ، التي انحدرت إلينا مع عذابات التاريخ .. إن بصمات عهد العبودية، تركت آثارها على الأرواح أيضاً ، وليس فقط على الأجساد » .

والآن ، وقد تعاقبت خمسة عشر عاماً ، منذ صدور الديوان .. الآن وقد انعطفت بي دروب الحياة ، ومسالك الشعر، فإنني ما زلت أرى قصائدي الأولى بنفس العين المحبة، المعجبة ..

وأدرك أكثر من ذي قبل ، إلى أي مدى كان أولئك الذين وقفوا ضد شعري ، وضد اتجاهي مخطئين وظالمين ، وقساة .

هل أطلب منهم ، أن يعيدوا قراءته ، ويتأملوه في ضوء الواقع الافريقي والانساني الجديد ؟

ربما أصبح الشكل الذي استخدمته فيما مضى ، في صياغة أفكاري وانفعالاتي ، شكلاً قديماً ..

غير انني أرى أن أصالة الفكر ، وأصالة الشعر ، بل وأصالة الشاعر نفسه ، ليست وقفاً على الشكل أو الأسلوب ، وليست نابعة قط ، ولن تكون نابعة من هذا أو ذاك .

إن الأصالة هي أصالة الفكر .. أصالة العاطفة ، أصالة الإبداع ؛ وفي هذا السياق ، فإنني أستطيع أن أقول ، إن الاسلوب الفني الجيد ، أو الصياغة الموسيقية الدقيقة ، لن تستطيع رغم جودتها ودقتها ، أن تخلق للفكر السطحي ، أو الفكر المسروق ، أجنحة تحلق بها في آفاق الحياة .

إن سقوط كثيراً من النماذج الشعرية المعاصرة ، بل إن سبباً رئيسياً ، من أسباب انهيار شعرنا الحديث ، في إحساس كثير من النقاد والمتذوقين ، إنما مرجعه إلى الضحالة الفكرية ، والنفسية ، المترسبة وراء هذا الشعر ..

* * *

الآن أيضاً ، وبعد تتابع تجـــاربي ، في حقول الشعر الغنائي ، والشعر الدرامي ، أين تراني أقف من أداتي الشعرية، التي ينبغي أن تكون لي ، حتى أواجه قضايا الصراعات الانسانية ، والاجتماعية ، وحقائق الفن والموت والنضال والحياة .

إن رؤيتي الخاصة والعامة ، للعالم وللناس من حولي ، ما تزال باهتة بعض الشيء ، محدودة بعض الشيء ، وصوتي أخرس بعض الشيء .

إنني أريد أن أرى العالم بعيون حادة ، تستطيع أن تترصد ظواهره ، وان تتفحص خلاياه ، وأن تسجل كل ما فيه من تناقض ، وتشير إلى كل ما فيه من تضاد ، وتعري كل ما فيه من فساد واختلال .

تلك هي الرؤيا ، التي تميز بها أولئك الذين أحسبني واحداً منهم ..

ما لم أرَ بحواسي كلها ، فأنا ما زلت أخرس .. ستظل دائماً هناك مسافة بيني وبين المستوى الذي أمضيت عمري ،

في محاولة الوصول إليه .. وهذا هو مبعث حزني واضطرابي ..

ربما كانت تلك مشكلتي وحدي ..

* * *

ذات مرة طلب مني أن أشرح الحالة التي تولد فيها قصائدي ..

وأذكر أني أجبت بابتسامة بلهاء .

كيف يمكنني أن أصف ، بل أن أحلل حالة تركيبية ، بالغة التعقيد والتداخل ، دائمة التجدد والتغيير ، لأنها نادراً ما تكرر نفسها ، ونادراً ما تتكرر حتى بالنسبة للفنان نفسه .

انني لا أحسب أن شاعراً أو فناناً ما ، لديه القدرة الكافية ،على مواجهة ذاته الشاعرة ، ورصد الحالة غير الطبيعية غير البشرية ، التي تتلبسها هذه الذات أثناء انهماكها ، في عذاب الإبداع .

إن عملية الخلق الفني ، عملية خفية – إذا صح هـــذا التعبير – إنها حالة انشطار الانسان شطرين .. حالة صراع داخلية ، يسقط ضحية لها ، في أغلب الأحيان، وجود الفنان الصناعي الخارجي ، ليرتفع فوق أشلائه ، ذلك الوجـــود الحقيقي الآخر ، الكامن أبداً فيه ..

ربما استطعت ان أقول ، انني أعيش تجربتي ، حتى إذا نضجت أخذت أُصَعِّدُها ، مرة أخرى ، لأصوغها كلمات على الورق ، ولكن عملية الخلق الفني ذاتها ، ليست سهلة أبداً على هذا النحو .

انها شيء أعمق من هذا بكثير .

بعض النقاد ، وصف هذه العملية ، بأنها أشبه بحالة الحمل والولادة ، عند المرأة ، وربما كانت شبيهة بهذه الحالة ، الى حد ما .

والبعض الآخر ، قال عنها ، انها حالة جنون .. حالة انهيار .. حالة مغامرة .

ولعل فيها شيئاً من هذا او ذاك ، بل لعلها أشبه بحـالة

الوحي عنـــد الرسل والنبيين .. أو لعلهـــا – كما يقول السورياليون – حلم يقظة .. أو يقظة بالغة الحدة .

إلا أن الرعشة المقدســـة ، التي تأخذ الفنان حينذاك يستحيل التعبير عنها ، إلا ضمنياً .. ضمن هذا المزيج النفسي الموسيقي الفكري ، الذي يسمى بالقصيدة الشعرية .

* * *

ومرة ثانية ، طلب مني ، أن أُعلل غيابي الشعري ، الذ دام بضعة أعوام ، عقب صدور ديواني الأول .

وأنا أعرف شعراء ، سكتت أصواتهم وهم أحياء ، نتيجة لانطوائهم على أنفسهم ، أو لانصرافهم إلى نشاطات حياتيـة أخرى – والشعر غيور يرفض أي نوع من أنواع المشاركة – أو نتيجة لقصور ذاتي ، أو ضمور في ميراثهم من الموهبـــة والإلهام .

غير ان الأمر بالنسبة لي ، كان مرده إلى أني عشت تلك الأعوام كلها ، خارج ذاتي .. لم أكن أتكلم لغتي .. ولا أفكر برأسي ، ولا أرى بعيني .. كنت غريباً في وطني .

غريب الوجه والصوت والرائحه ..

وهكذا وجدتني ، وقد مات فيّ كل شيء ..

أقصد امتدت الصحراء على روحي ، فلم تنبت فيها شجرة واحدة خضراء .

أذكر – للعلم والتاريخ – إني عملت بالصحافة ، رأست تحرير أكثر من جريدة يومية ، ومجلة أسبوعية ، وأني خضت غمار أكثر من تجربة سياسية واجتماعية ، ثم استيقظت فجأة ، فوجدتني أحرث – كما يقولون – في البحر .. بلا شجرة ، بلا حياة ، بلا شيء .. اللهم إلا عزاء قديم ، كنت ألمحه في ديواني الأول .

واجتاحني شعور طاغ بالعذاب ، والقلق ، واللامبالاة .

لماذا أنا كذلك ؟

هل حقيقة أن الشاعر الذي كنت أنا هو ، قد مات ؟!

ومن جديد ، بدأت أسترجع صوتي ، بحثاً عن وجودي الضائع ، هذا الوجود الذي لا أعرف له معنى إلا بالشعر .

وأحببت ، واصطدمت بجدران الواقع الذي عشته ، حتى شحب جبيني ، وغسل وجهي ، وروحي الألم .

وعدت ثانية إلى الشعر ، في مجموعـــات أشعاري التي تعاقبت بعد ذلك .

* * *

ومرة ثالثة ، سئلت عن تجربة الصوفي عندي ؟

وإجابتي ، هي أن التجربة الصوفية ، بالنسبة لي ، جزء من كياني .. لقد عانيتها قبل أن أولد ، فقد كان والدي أحد كبار رجالاتها ، وعانيتها طفلاً وصبياً ، وقبل أن أعرف الشعر .. بل لعلني عرفت الشعر من خلال معرفتي بها ..

ولذلك ، فإن لجوئي إليها ، ليس لجوءاً طـارئاً ، أو جديداً ، أو مفتعلاً .. ليس لجوءاً ثقـــافياً ، أو فلسفياً ، أو فنياً ، لمجرد البحث عن أفق جديد .

والظاهرة الصوفية ، كما عبرت عنها في مجموعتي الشعرية ( معزوفة لدرويش متجول ) هي في حقيقتها التفاتة أعمق إلى الداخل ، وعودة أشد التصاقاً بالجوهر .

ويبقى بعد ذلك ، أن أوضح حقيقة الاتجاه الصوفي ، في أشعاري الأخيرة .

إن صوفية الشاعر ، أو شاعرية الصوفي ، الذي أتكلم عنه ، موقف إنساني إيجـــابي ، واعٍ ومدرك ، وليس موقف الدرويش المنجذب إلى مجموعة من الأفكار المشوشة والأحاسيس التجريدية العمياء .

إنه الصوفي الثوري ، وليس أبداً ذلك الصوفي التقليدي المتهالك المهزوم .

* * *

وأخيراً .. فإنني أرى أن الوعي بحقيقـــة الأوضاع الاجتماعية ، وإدراك التناقضـات والعوامل الديناميكية ، التي تتفاعل داخل المجتمع الانساني ، والمؤثرات والأحداث التي تحرك التاريخ ، ثقافة ضرورية ، لا بد منهـــا للشاعر المعاصر .. إنه بغيرها يعزل نفسه ، عن حركة الحياة .

* * *

# أغاني افريقيا

أما مسألة الجديد والقديم ،

فرأيي هو أنه لا جديد ولا قديم في الشعر .. الجديد فقط ، هو الرؤية الإنسانية الجديدة، للواقع الاجتماعي المتغير.

وبدون الاتحاد الكامل ، بين عنصري الإيقاع والشكل ، الرمز والصورة ، الروح والجسد ، تفقد الكلمة الشعرية فعاليتها ، وقدرتها على أن تتحول إلى ميراث .

٣ / ٥ / ١٩٧٠ - محمد الفيتوري

# أغاني افريقيا

# هذا الديوان

بقلم : محمود أمين العالم

---

هي رحلة شعرية من طراز فريد ...

بدأها الشاعر من حيث الأعشاب تتكسر تحت الأقدام الموحلة وحيث الأقبية الرطبة ، والتوابيت المكتنزة بالأحقاد والمخاوف وحيث الأشجار السوداء والظلال الحقيرة ... وراح يواصل حركته الزاحفة خلال الدهاليز والمفاوز والمشاعر الصفراء ، حتى توج ضوء النهار جبينه الظافر .

في البداية كان يحس في أغواره الباطنية إحساساً بالغاً بالضياع ولم يكن يستشعر إنتساباً حقيقياً إلى وطن .

فهو زنجي الجد من أعالي بحر الغزال ، وهو مصري الأم.. وهو سوداني الوالد .. وفوق هذا وذاك قضى الجانب الأكبر من حياته في مدينة كبيرة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط لا يهدأ لها نشاط هي مدينة الإسكندرية .

ومنذ طفولته المبكرة .. كانت ترتعد في آذانه أصوات طبول ودفوف ، وترتعش أمام عينيـه أجساد بشرية ترقص رقصات متوفزة.. فلقد كان والده من رجال الطرق الصوفية.. لا يمل القيام بموالدها وطقوسها .

وكانت بشرته السوداء تقيم بينه وبين المدينة التي يحيا فيها حاجزاً كثيفاً .. يحرمه المشاركة والإندماج، ويؤجج في باطنه مشاعر مريرة صفراء ، ويشحذ حساسيته .

وكان يقف على العتبة الأخيرة من الفئة البورجوازية الصغيرة يمتلىء وجدانه بصراعها المرير من أجل العيش ، وتمزقه قيمها المنهارة القلقة ، وترددها القاتل ، وتهدده هوات الشقاء التي تفتأ تتسع تحت أقدامها بين يوم وآخر .. في هذه المدينـة التجارية الكبيرة التي لا تكف سفنها عن المجيء والذهاب ، والتي نقيم فيهـا الطبقة الأورستقراطية الأوروبية البيضاء

مجتمعاً يكاد أن يكون مقفلاً على أبناء البلاد .. والتي لا تعرف الوجه الأسود إلا خادماً ذليلاً ..

واتخذت رحلته من الشعر مركباً لها .. واستهلت سبيلها متخذة حمولتها من هذه الأجواء جميعاً .. حصيلة من الضياع والغربة والإحساس البالغ بالدمامة والمهانة .

وفي البداية كانت وجهته سماء فسيحة لا حدود لها .. هي اللامكان ..

يا ليتني فراش نحل جناحاه على هيكله شعلتان .
يا ليت قلبي قلبه ويدي جناحه وموطني اللامكان .

فراراً من تلك المدينة التي يعيش فيها ، ومن كافة المدن الأخرى التي انتقل إليها فيما بعد .. فهكذا كان يخاطب الصفصافة وهو في طريقه :

وأنت مثلي في فرار نفسي
من صخب المدينة المثير
لكنني أقتات بإنفعالي
من زحمة المجتمع الشرير

وكان يسير في طريقه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة :

وكنت أمشي متخماً بالردى
كدودة تزحف بين القبور .

مستشعراً بشرته السوداء في مرارة بالغة :

فقير أجل .. ودميم دميم
بلون الشتاء .. بلون الغيوم
يسير فتسخر منه الوجوه
وتسخر حتى وجوه الهموم

وقد يصل الأمر به إلى حد السخرية الحادة ..

دميم .. فوجه كأني به .. دخان تكثف ثم التحم
وعينان فيه كأرجوحتين .. مثقلتين بريح الألم
وأنف تحدر ثم ارتمى .. فبان كمقبرة لم تتم
ومن تحتها شفة ضخمة .. بدائية قلما تبتسم ..!
وقامته لصقت بالتراب .. وإن هزئت روحه بالقمم

وكانت روحه هذه التي هزئت بالقمم هي حلقته للنجاة ، هي كبرياؤه الذي أبقى على قواه المجاهدة .. وأتاح له مواصلة الطريق .. رغم هذه الدمامة ، ورغم حساسيته التي كانت تشقيه أكثر ما تشقيه دمامته .

لم تشقني دمامتي في الورى
لم تشقني إلا حساسيتي

ولكنه لم يكن جاداً في إحساسه بالدمامة أو كان مغالياً في هذا .. فهو ليس دميماً .. ولم تكن بشرته السوداء العقبة الحقيقية في سبيل الوصول ، سبيل الخلاص الذي ينشده ، بل كانت العقبات الحقيقية تكمن في باطنه .. مشاعر حاقدة سوداء .

عندما تورق الكآبة في صحراء نفسي الحزينة المسكينة
أتمنى لو كنت دودة حقل
تلتوي في شقوقه مستكينه
أتمنى لو كنت ذئباً شريراً
لم تلوث خطاه أرض المدينه

أتمنى لو كنت طفلاً ضريراً
عصبت راحة الظلام عيونه
أتمنى لو لم أكن عبد حقد
وجنون وغيرة وضغينه .

وكان يهتف في بساطة وعمق :
وناري ملعونـة .. حاقدة

ولكن الشاعر سرعان ما أخذ يتحسس لرحلته اتجاهـاً جديداً ، ويتخذ لمشاعره وانفعالاته وطناً آخر غير الغربـة والضياع واللامكان .

ومن لون بشرته ، ومن إحساسه العميق بالمرارة والحقد ، ومن طبول الذكر صاغ له وطناً بعيداً نائياً هو أفريقيا . كان يدرك أنه بعيد ناء .. ولكن كان هذا يتفق مع بقاء إحساسه بالغربة والفقد ، وكانت علاقته بهذا الوطن البعيد في البداية علاقة إنفعالية خالصة .. فلقد انتقل إليه بكافة أدواته . مشاعره الحاقدة المتوفزة ، رؤاه الحزينة ، الطبول المجلجلة ، إلى جانب استعانتهبعناصر محلية من الريف المصري كالمحاريث

والسواقي والمناجل.. ولم يكن غريباً عن الريف المصري فلقد قضى فيه سنتين أثناء الحرب العالمية الثانية .

وفي البداية أيضاً كانت أفريقيا طريقاً للخلاص الذاتي .. كانت ذاتاً كذاته تريد أن تستفيق من أحقادها ، وتتحرر من قيودها وتخرج من أقبيتها المظلمة ..

أفريقيا .. استيقظي من ذاتك المظلمة
استيقظي من نفسك القابعة ..

كانت أفريقيا وطناً بعيداً نائياً ، كانت طريقاً وهدفاً .. فأخذ يلونها بلون مشاعره ، ويوحد تاريخه وتاريخها .. ويخلع عليها مأساته الخاصة ، ويبصر من خلالها بخلاصه المنشود :

لتنتفض جثة تاريخنا
ولينتصب تمثال أحقادنا
آن لهذا الأسود المنزوي
المتواري عن عيون السنى
آن له أن يتحدى الورى

لقد أصبحت له أفريقيا رؤيا تحريرية ، يتخلص خلالها من أزماته الباطنة ويخلع عليها صراعه النفسي المرير .. فيقول على لسانها أو تقول أفريقيا على لسانه :

إنني مزقت أكفان الدجى
لم أعد مقبرة تحكي البلا
لم أعد ساقية تبكي الدمن

ويهتف بالملايين الأفريقيين أو تهتف به ..

يا أخي وكل أرض وجمت شفتاها
واكفهرت مقلتاها
قم تحرر من توابيت الأسى

إنه يستيقظ من ذاته الحزينة الأسيانة ، وكذلك تستيقظ أفريقيا وتتألق في ضوء الفجر ..

الفجر يدق جدار الظلمة فاسمع ألحان النصر
ها هي الظلمة تتداعى .. تساقط تهوى في ذعر
ها هو ذا شعبي ينهض من إغماءته عاري الصدر

وهو أيضاً قد صحا :

إني صحوت .. صحوت من أمسي

وذي فأسي تهد قبوره هداً

لقد صحا الشاعر من أقبيته الرطبة ، من ظلماته الحاقدة، وامتدت فروع نفسه تحمل الورد على أطرافها الوضيئة .

لقد كانت إفريقيا رمزه الأكبر لخلاصه الداخلي ووسيلته للارتباط شيئاً فشيئاً بالواقع الموضوعي الكبير ، وعودة الثقة إلى نفسه ، الثقة بنفسه ، والثقة بالإنسان وبالحياة .

ومن هنا أخذت افريقيا نفسها تتخذ رؤيا شعرية جديدة.. لم تعد طبولاً زاعقة ، ولا تماثيل حاقدة ولا أغنيات متوفزة بل أصبحت صوراً هادئة يتدفق في عروقهـــا دم الواقع البسيط .. ينظر الشاعر من شرفته الجديدة فيبصر ..

سفناً تغدو وأخرى رائحة .

سفناً مكتظة بالأسلحة .

وبأبناء بلادي .

وبخيرات بلادي .

وبتاريخ بلادي .

وانفتح أمامه طريق رحب.. وتكشفت له حقيقة المشاعر السلبية الصفراء .. التي عوقت حركته زمناً ..

ولأن الحزن نار باردة
تتمطى في صدور من جليد
بقيت إفريقيا مستعبدة
تخلع القيد إلى قيد جديد .

* * *

ولأن الضعف سجن
ولأن الخوف سجن
ولأن الماضي المظلم سجن
بقيت أفريقية مستعبدة
تنقب السجن إلى سجن جديد

ولم تعد المعركة معركة إفريقيا وحدهـــا .. لم تعد معركة لونية .. بين أبيض وأسود ، بل أصبحت معركة قيم إنسانية

عامه معركة بين استعمار الشعوب ، بين طغاة وأحرار ثائرين :

– ذات يوم طرقوا الباب ومروا داخلين .

من أنتم ؟ ماذا تريدون ؟

وماذا تحملون ؟

لكنهم ألقوا إلى قرب الجدار جثته .

وحدقت في وجوه الذكريات الميته .

وجففت مدامعي دموع الآخرين .

وتلقفت روحه مشاعر الانتصار والظفر .. وكانت مشاعر بسيطة .. بسيطة .. صادقة .

– غداً يمر موكب الجوع بدربنا القذر .

فاخضوضري يا سنوات القحط وانزل يا مطر .

اغرق حقول الأرز والقمح واغرق النهر .

وامسح بكفك الرمادية أحزان الشجر .

لا بد أن تصبح يوماً غلة الحصاد لي .

وتصبح السماء والأرض ومجرى الجدول .

وتنتهي مجاعة التراب والبشر !

حقاً .. لقد توج ضوء النهار جبينه الظافر .

* * *

ومع الحركة الدائبة لهذه الرحلة الشعرية كانت لغة الشاعر وتعابيره وصوره تتطور بتطور مراحله وانتصاراته وقيمه الجديدة ..

في بداية الرحلة كانت الغنائية هي الطابع المميز للكلمة والتعبير .. وكانت تشب أحياناً إلى حد الخطابة .. وكانت قدرة الشاعر الخارجة على التجسيد وإبراز القسمات لا تتعدى حدود الصور الجزئية .. وكانت الرؤى والصور الشفافة بالانفعالات والمشاعر المتوفزة . ثم أخذت هذه الغنائية تخف شيئاً فشيئاً فلم تعد القيمة الأولى للتعبير .. بل أصبحت أداة لابراز الدلالة .. واختفت الخطابية إلا في بعض المقطعات الصغيرة في مرحلته الأخيرة .. عندما تعلو طبول أفريقيا .. ويشتد الحنين الجارف إلى الخلاص الأخير .

وأصبحت قـــدرة الشاعر على التجسيد والتصوير وإبراز القسمات ذات طابع متكامل إلى حـد كبير ، لا يقف عند حدود الجزء ، بل يمتد فيشمل القصيدة كلها كما في قصيدتـه العملاقة « الطوفان الأسود » ، وفي قصيدة « مات غداً » . ولكنه كثيراً ما احتفظ بمقطعات منفصلة وصور مجتزئة داخل القصيدة الواحدة كما في قصيدته « أغاني افريقيا التي تكاد تتكون من أكثر من مقطوعة مستقلة .. لا يجمعها إلا الرؤيا الأفريقية العامة .. وصوت الطبول .

لقد تطورت أدوات الشاعر التعبيرية مع تطور وعيـه وتكامل حسه بالواقع . وما تزال أمامـه مراحل جديـدة ما أجدره بأن يخطوها في ثقة .

واليوم يقف محمـــد مفتاح الفيتوري في مستهل طريق جديد ، وخلص إليه بعد كفاح صادق مرير ، يقف جسوراً غير هياب وعلى سنه التي لا تتجـاوز الخمس والعشرين ترقـد مسئوليات جسام ، نحو هذه الرؤيا الإنسانية الصادقـة التي امتلأ بها وجدانه .

ونحو هذا الطريق الممتد أمام جبينه الظافر .. طريق الإنسان المكافح والحياة الصاعدة .

فما أروع ما ننتظره من أغنيات في رحلته البطولية الجديدة .

**محمود أمين العالم**

# أحزان المدينة السوداء

على طرقات المدينه
إذا الليل عرّشها بالعروق
ورش عليها أساه العميق
تراها مطأطئة في سكينه
محدِّقة في الشقوق
فتحسبها مستكينه
ولكنها في حريق !

* * *

على طرقات المدينه

وحين يشيد الظلام

تماثيله المرمريه

ويهدمها في عقوق

وتهبط بالكائنات

سلالمه اللولبية

لماض سحيق ، سحيق

وتغرق في الذكريات

سواحله العنبريه

وتوشك ألاّ تفيق

وينهض في كل ذات جدار

من الطين ، والماس ، والشهوات

وينعس ليل ، ويصحو نهار

يصفُّ القناديل للظلمات

هناك تجف دماء السكينه

جفاف القبور

ويصبح قلب المدينه

كشيء حقير

كمدفأة في الهجير

كمسرجة في طريق الضرير

كافريقيا في ظلام العصور

عجوز ملفعة بالبخور

وحفرة نار عظيمه

ومنقار بومه

وقرن بهيمه

وتعويذة من صلاة قديمه

وليل كثير المرايا

ورقصة سود عرايا

يغنون في فرح أسود

وغيبوبة من خطايا

تؤرِّقها شهوة السيد

وسفن معبأة بالجواري الحسان

وبالمسك ، والعاج ، والزعفران

هدايا بلا مهرجان

تسيِّـرها الريح في كل آن

لأبيض هذا الزمان

لسيد كل زمان

* * *

وتمتد مزرعة في خيال الوجود

ستكسو عراة ، وتعري عراه

وتجري كآباتها في عروق الحياه

وتصبغ لون المياه

وتصبغ وجه الإله

وتضحك أحزانها في الشفاه

وتنبت حتى الطغاة

وحتى العبيـــد

وحتى الحديـــد

وحتى القيود

وتنبت في كل يوم جديد

* * *

ولكنهم حين يبني الظلام

على طرقات المدينه

## حواجز من حجر أسود

يمدون أيديهم في سكينه
إلى شرفات الغد
وهم صرخات سجينه
بأرض سجينه
وأيامهم ذكريات طعينه
لأرض طعينه
وأوجههم كالأكف ، حزينه
تراها مطأطئة في سكينه
محدقة في الشقوق
فتحسبها مستكينه
ولكنها في حريق !

# البعث الأفريقي

إفريقيا ..

إفريقيا استيقظي ..

استيقظي من حلمك الأسودِ

قد طالما نمت .. ألم تسأمي ؟

ألم تملّي قدم السيدِ ؟

قد طالما استلقيت تحت الدجى

مجهدة .. في كوخك المجهدِ

مصفرة الأشواق ..
معتوهـــة
تبني بكفيها ظلام الغدِ
جوعانة تمضغ أيامها
كحارس المقبرة المقعدِ ..
عريانة الماضي ..
بلا عزة تتوج الآتي ..
ولا سؤددِ !

* * *

إفريقيا ..
إفريقيا استيقظي
استيقظي من ذاتك المظلمهْ
كم دارت الأرض حواليك ..

كم دارت شموس الفلك المضرمه

وشيَّـد الناقم ما هدّمهْ ..

وحقّـر العابد ما عظمه ..

وأنتَ لا زلت كما أنت ..

كالجمجمة الملقاة ..

كالجمجمه ..

واعجبا ألم تفجر شرايينك سخرياتهم ..

يا أمَـــــه !

* * *

إفريقيا ..

إفريقيا استيقظي ..

استيقظي من نفسك القابعه

أكل ما عندك أن تصبحي مزرعه

للأرجل الزارعه

أكل ما عندك أن تلعقي أحذية المستعمر اللامعه

أكل ما عندك أن ترقدي

خاملة .. خائرة .. خاضعه

أكل ما عندك أن تضحكي

هازئة بالقيم الرائعه ..

أكل ما عندك أن تُصدري قوافل الرقيق ..

يا ضائعه !

* * *

إفريقيا ..

إفريقيا النائية

يا وطني .. يا أرض أجداديه

إني أناديك ..

ألم تسمعي صراخ آلامي وأحقاديه !

إني أناديك ..

أنادي دمي فيك ..

أنادي أمتي العاريه ..

إني أنادي الأوجه الباليه

والأعين الراكدة .. الكابيه ..

فويك إن لم تحضني صرختي

زاحفة من ظلمة الهاويه

عاصفة بالأبيض المعتدي عليك ..

يا إفريقيا الغاليه ..

* * *

لتنتفض جثة تاريخنا ..

ولينتصب تمثال أحقادنا

آن لهذا الأسود .. المنزوي

المتواري عن عيون السنا

آن له أن يتحدّى الورى ..

آن له أن يتحدى الفنا ..

فلتنحن الشمس لهاماتنا ..

ولتخشع الأرض لأصواتنا ..

إنا سنكسوها بأفراحنا ..

كما كسوناها بأحزاننا

أجل .. فإنا قد أتى دورنا

إفريقيـــا

إنا أتى دورنا ..!

# ثورة قارة

كانت جموع السحب ..

كان الدجى يرخي جناحيه على القريةِ !

وكانت الأوجه ذات الأسى ..

ذات العيون الاستوائيةِ ..

قد انزوت خلف سراديبها

تحلم بالنار ، وبالثورةِ

تحلم بالثأر لتاريخها ..

من العدوِّ الأبيض الجثةِ ..

* * *

وقال طفل أسودٌ :

يا أبي ، إني أخاف الرجل الأحمرا

فهو إذا أبصرني سائراً يبصق فوق الأرض مستكبرا

فلا تدعه يا أبي بيننا

فهو غريب فوق هذا الثرى

اقتـــله .. اقتـــله ..

فيا طالما مزق أعماقي مستهترا !

* * *

وقال شيخ مقعدٌ ..

شققت جبهته السوداء فأس الزمن ..

كنت صغيرا ..

عندما أبصرت عيناي وجه الأبيض المحتقن
ولم أزل أذكر لي إخوة
مشوا عبيدا .. تحت ثقل القيود
والسيد الأبيض من خلفهم
وسوطه ملتصق بالجلود ..

* * *

ولم أزل أسمع أصواتهم ..
والعرق الدامي يغطي الجباه ..
والشمس من فوقهم ..
موقد أحرق حتى العشب ..
حتى الميـــاه !
ولم أزل أذكرهم كلهم
ذوو الوجوه الصارمات الوجوه

بلال،والنمر . . ودود الذي لما تحدى بطشهم أعدموه !

* * *

وحينما قلت : إلى أين همُ ماضونَ ؟!

قالوا : نحو أرض بعيده . .

وحينما قلت : ألن ترجعوا ؟

. . مات الصدى فوق الشفاه البليده !

* * *

وسكت الشيخ :

وشق الدجى صوت فتاة جثمت عن كثب

قالت ، وأبدت جسداً عاريا

تلفه عاصفة من غضب . .

هنا ، هنا وراء هذا الجدار اللامع . .

المطلي بأحزاننا . .

يضطجع السيد .. في جنـــة
مسقوفـة بعظم أجدادنا ..!
فاختلجت تلك الوجوه ..
التي يا طالما ضاع أساها سدى
وانتصبت أذرعهم في الدجى
مثل محاريث علاهـا الصدا

* * *

وابتلع الصمتُ العميق ، البعيد
غابات افريقيا وما فيها
وعندما جاء الصباح الجديد
كان اللظى ملء روابيها ..!

١٩٥٣

# اغاني افريقيا

---

يا أخي في الشرق ، في كل سكن
يا أخي في الأرض ، في كل وطن
أنا أدعوك ..
فهل تعرفني ؟
يا أخا أعرفه .. رغم المحن
إنني مزقت أكفان الدجى
إنني هدمت جدران الوهن



لم أعد مقبرة تحكي البلى

لم أعد ساقية تبكي الدمن

لم أعد عبد قيودي

لم أعد عبد ماض هرم ..

عبـــد وثن

أنا حي خالد رغم الردى

أنا حر رغم قضبان الزمن

فاستمع لي .. استمع لي

إنما أذن الجيفة صماء الأذن

* * *

إن نكن سرنا على الشوك سنينا

ولقينا من أذاه ما لقينا

إن نكن بتنا عراة جائعينا

أو نكن عشنا حفاة بائسينا

إن تكن قد أوهت الفأس قوانا

فوقفنا نتحدى الساقطينا

إن يكن سخَّرنا جلادنا

فبنينا لأمانينا سجونا

ورفعناه على أعناقنا

ولثمنا قدميه خاشعينا

وملأنا كأسه من دمنا

فتساقانا جراحا وأنينا

وجعلنا حجر القصر رؤوسا

ونقشناه جفونا وعيونا

فلقد ثرنا على أنفسنا

ومحونا وصمة الذلة فينا ..

* * *

الملايين أفاقت من كراها

ما تراها .. ملأ الأفق صداها ..

خرجت تبحث عن تاريخها ..

بعد أن تاهت على الأرض وتاها

حملت أفؤسها وانحدرت من روابيها ..

وأغوار قراها ..!

فانظر الإصرار في أعينها

وصباحُ البعث يجتاح الجباها

يا أخي في كل أرض عريت من ضياها

وتغطت بدجاها ..

يا أخي في كل أرض وجمت شفتاها

واكفهرت مقلتاها

قم .. تحرر من توابيت الأسى

لست أعجوبتها .. أو مومياها

انطلق فوق ضحاها ومساها

يا أخي قد أصبح الشعب إلها

* * *

جبهة العبد .. ونعل السيدِ

وأنين الأسود المضطهدِ ..

تلك مأساة قرون غبرت

لم أعد أقبلها .. لم أعدِ !

كيف يستعبد أرضي أبيض
كيف يستعبد أمسي وغدي ؟
كيف يخبو عمري في سجنه
وجدار السجن من صنع يدي
أنا زنجي . !
وإفريقيّتي لي لا للأجنبي المعتدي
أنا فلاح ولي أرضي ..
التي شربت تربتها من جسدي
أنا إنسان ولي حريتي
وهي أغلى ثروة من ولدي
أنا حر مستقل البلدِ
وسأبقى مستقل البلدِ

* * *

ها هنا واريت أجدادي .. هنا ..

وهم اختاروا ثراها كفنا ..

وسأقضي أنا من بعد أبي ..

وسيقضي ولدي من بعدنا ..

وستبقى أرض إفريقيا لنا ..

فهي ما كانت لقوم غيرنا ..

نحن أهرقنا عليها دمنا ..

ومزجنا بثراها عظمنا ..

وشققناها بحاراً وربى ..

وزرعناها سيوفاً وقنا ..

وركزنا فوقها أعلامنا ..

وتحدينا عليها الزمنا ..

وسنهديها إلى أحفادنا

وسيحمون علاها مثلنا

فاسلمي يا أرض إفريقيا لنا

اسلمي يا أرض إفريقيا لنا

# أنا زنجي

قلها لا تجبن .. لا تجبن !

قلها في وجه البشريهْ ..

أنا زنجي ..

وأبي زنجي الجدْ .

وأمي زنجيه ..

أنا أسود ..

أسود لكني حر أمتلك الحريه

أرضي إفريقيه ..

عاشت أرضي ..

عاشت إفريقيه !

* * *

أرضي .. والأبيض دنّسها

دنسها المحتل العادي ..

فلأمضِ شهيداً ..

وليمضوا مثلي شهداء أولادي

فوراء الموت .. وراء الأرض

تدوي صرخة أجدادي ..

لستم ببنينا إن لم تذر الريح رماد الجلادِ

* * *

لستم ببنينا إن لم يجل الغاصب عنها مدحورا

إن لم تخلع أكفان الظلمه ..

إن لم تتفجر نورا ..

إن لم يرتفع العلم الأسود ..

فوق رباها .. منصورا

إن لم يحنِ التاريخ لكم جبهته فرحان فخورا ..

* * *

الفجر يدك جدار الظلمه ..

فاسمع ألحان النصر ..

ها هي ذي الظلمة تدّاعى ..

تسّاقط .. تهوي في ذعر

ها هو ذا شعبي ينهض من إغماءته ..

عاري الصدر ..

ها هو ذا الطوفان الأسود ..

يعدو عبر السد الصخري ..

ها هي ذي إفريقيا الكبرى ..

تتألق في ضوء الفجر ..

# الى وجه ابيض

ألئن وجهي أسودُ

ولئن وجهك أبيض

سميتني عبدا

ووطئتَ إنسانيتي

وحقرتَ روحانيتي

فصنعت لي قيدا

وشربتَ كرمي ظالما

وأكلت بقلبي ناقما

وتركتَ لي الحقدا

ولبستَ ما نسجتَ خيوط مغازلي

وكسوتني التنهيد والكدا

وسكنتَ جنات الفراديس

التي بيدي نحت صخورها الصلدا

وأنا .. كم استلقيتُ في كوخ الدجى

أتلفح الظلمات والبردا

كالشاة .. أجتر الكآبةَ

عاقداً حولي دخان تفاهتي عقدا

حتى إذا انطفأت مصابيح السما

وانساب نهر الفجر ممتدا

أيقظتُ ماشيتي الهزيلة

وانطلقتُ أقودها لمراحها قودا
فاذا سُمِنَّ نعمت أنت بلحمها
ونبذَت لي الأمعاءَ والجلدا !

* * *

لا يا أخي .!
إن التهاب مشاعري هيهات بعد اليوم أن يهدا
هيهات
لم أخلق عليها بومة
تقتات بالديدان أو قردا
أنا كائن أمي وأمك طينة
والنور ليس لأيِّنا جدا
فإلام تحرمني حقوقي ؟
بينا تلقى السعادة أنت والرغدا

وإلام تستعلي بأنفك سيدا ؟

وأنا أطاطىء هامتي عبدا

* * *

إني صحوت ..

صحوت من أمسي

وذي فأسي تهد قبوره هدًّا

سأكون نارا .. فالحياة تريدني نارا

وأرقص فوقها رعدا ..

فاخلع براقع كبريائك ..

إنني أسكنت جيفة ذلتي لحدا

واضمُمْ يديك إلى يديَّ ..

نشيدْ معاً صرح المحبة بيننا شيدا

* * *

إني أخوك فلا تعق أخوتي ..
فتزيد بركانيّـتي وقدا ..
إياك .. لا تبذر بذور عداوتي
فتعود تحصد شوكها حصدا
إياك لا تزرع حقولك عوسجا
إني زرعت حقوليَ .. الوردا

١٩٤٨

# الطوفان الأسود

لقد غسل النور أرضك ..

حتى سراديبك الرطبة المظلمهْ

مشى الفجر فيها بأنفاسه ..

يفضّض أيامك القادمه

فهل تسمعين أغاني الزنوج

تدوّي مثقلة بالحياه

وهل تبصرين وجوه العبيد ؟

تقهقه حول نعوش الطغاه !
لقد كنت مقبرة ، ضخمة
تدوس عليها خيول الغزاه
وكنت بقية أسطورة .. ملوثة
بصقتها الشفاه !

* * *

« بلاد العبيد . ! إفريقيا .. »
يا بلاد الزنوج الحفاة العراه
نرى كيف يمشون في عريهم
وكيف يعيشون خلف الحياه ؟
« وأجسامهم
ذلك الأبنوس العجيب !

المفصل مثل البشر

ونيرانهم في شعاب الجبال

وأطفالهم في بطون الشجر .. »

متى أجد المال ؟

كي أشتري حذاء ، وكلباً ، وثوباً جديد

وأمضي إلى أرض افريقيا

لأصطاد قافلة من عبيد ! »

فإني أمرؤ أبيض كالثلوج

ولست عظيماً لأني فقير

وقد كان لي رفقة ..

ثم عادوا سراة عظاما

فلمْ لا أسير ؟ »

لكم أشتهي جسداً دافئاً

مهيباً .. لزنجية جامحه
فقد قيل أن لحوم الجواري
لها نكهة .. ولها رائحه ..
بلاد الكنوز .! إفريقيا

* * *

يا بلاد الزنوج الحفاة العراه
سآتيكِ يوماً .. كغاز جديد
يريد الغنى ، ويريد الحياه »

* * *

كذلك عشت ألوف السنين
تخرين ، فوق خطايا وثن ..
إلى أن تسلل ضوء الصباح إليك،

فمزقت عنك الكفن

وقمت كماردة تتلقّى الضحى

وتحوّل مجرى الرياح

وتحفر تاريخها من جديد

على جبهة الشمس حفر الجراح !

فهل تسمعين أغاني الزنوج

تدوّي مثقلّة .. بالحياه

وهل تبصرين وجوه العبيد

تقهقه حول نعوش الطغاه !

* * *

كذلك كان يغني لها

ويقرع ناقوسه في جنون ..

وإن لم تزل تتلوّى القيود على قدميها
وتبنى السجون على أرضها ..
وتقام المشانق ترتجل الموت في كل حين . !
فقد كان يحمل في روحه
تمرد أجداده أجمعين

* * *

تمرد جد قضى ليلة يصب المياه على الموقد
ولما أبى .. !
مزقته السياط
فحطم جمجمة السيد ؟
وآخر كانت تنام الشياه وتصحو
على صوت مزماره

وفي ليلة ، كفرت روحه
بجزارها ، وبجزاره
فهب ، فأشعل أحقاده
فسالت جحيماً بوجه الصنم
وأبصره الغد فوق الرمال
تكفنه عزةُ المنتقم !

* * *

وآخر أسود بادي العبوس
طويلٍ ، رفيعٍ ، كصاري سفينه
وقد حدثوا أن ميلاده
بإحدى ليالي الشتاء الحزينه
كما حدثوا أن أول جيش من البيض

دنس أرض الوطن !

ينام بمقبرة حفرتها محاريثه

خلف سور الزمن

وقد كان يؤمن في عمقه

بحريّة السود ، والكادحين

وحتى الطغاة الذين انتهوا

وآلهة البشر الساقطين ..

* * *

وكالموت حين يغطي الحياه

بأفراحها ، وبأحزانها

وكالصمت حين يضم الحقول

بأصواتها وبألوانها

تراءت له مثل صفصافةٍ
تفيء إليها جموع الظلال
وكانت أكف الهجير الضرير
تسمِّر أقدامه في الرمال
فوسَّد أحزانه صدرها
وأطبق أجفانه في سكون
كميْتٍ تداعبه موجة
وتهوي به في اصطخاب حزين
وراح يرى ملء أحلامه
جزائر غارقة في الغمام
يظلِّلها نغمٌ أزرقٌ ..
شفيف ، شفيف بلون السلام
وكانت هنالك عند الشمال

حقول متوَّجة بالغلال
وقوم من السود مستغرقون
يرصون أكداسها في التلال
وأصواتهم وزغاريدهم
ترفرف صاعدةً من بعيد
كما يتصاعد كل صباح ضبابُ الحقول
ببطء شديد
وحين تصف طيور الغروب
على الأفق أجنحها المذهبات
وتمضي تنقِّر ثوبَ السكون
بكل مناقيرها المتعبات
تراهم يلوحون فوق الدروب
أو يتوارون خلف الشجر

وهم عائدون إلى دورهم
بأيدٍ مثقلة بالزهر

* * *

وأسكره حلمه العاطفيُّ
فبعثر أشواقه أجمعين
وعانق إخوانه باكياً
ومد يديه إلى الآخرين
وهزته أفراحه .. فأفاق
على ظل صفصافة واقفه
وكانت جموع الزنوج العراه
تحركها ثورة العاصفه
فسار يغني مع السائرين

وهم زاحفون إلى الطاغيه
ويحفر فوق جدار الزمان
أغاني إفريقيا الداميه !

١٩٥٣

# ماتَ غداً

ماتَ . !

فلم تحزن عليه قطرة من المطر

ولا تجهمت أوجه حفنةٍ من البشر

ولا أطل ذات ليل فوق قبره القمر

ولا تلوَّت دودة كسلى . .

ولا انشق حجر

ماتَ غداً . .

متّسخ الجثة ..

منسيّ الكفن

كحلم ..

ـ واستيقظ الشعب ـ

كإعصار نتن !

مرّ على حقول الورد ساعة السحر

* * *

مات . !

وملء روحه المسودة المحترقه

ماض يغطيه دم المشانق المعلقه

وصرخات الثائرين في السجون المطبقه

وأوجه العجائز الأليمة .. المشققه

وهنّ يرفعن إلى السماء ..

في أسى ذليل
أذرعة معوجة مثل مناجل الحقول
وأعيننا يغوص فيها ظل مشنقه !

* * *

يا ابني .. !
ترى أين مضى الجند بوجهك الحبيب
فحرموني شمة الثوب .. ونشقة الطيوب
الله .. ما أجمله ابني .. في شبابه القشيب
كأنما يمشي على كل عواطف القلوب
إبني ؟
وأوصد السجان باب سجنه الكبير
وزحفت سلسلة راح يجرها الخفير

وأنهار كرباج يلف الليل بالنحيب

* * *

– وأنت يا أبي

ألن تعود لي قبل الشتاء ؟

إنا جميعاً لم نزل نبكي ..

نضج في البكاء .

أنا ، وإخوتي وأمي

في الصباح والمساء

فعد لنا

كي لا يسمونا يتامى فقراء

كما مرة سألت كل الناس في حزنٍ شديد

أبي بريء !

فلماذا صفدوه في الحديد ؟

فاطرقوا ..

كأنهم جميعاً سجناء

* * *

وذات ليل طرقوا الباب ومروا داخلين

من أنتم ؟

ماذا تريدون ؟

وماذا تحملون ؟

أما كفاكم أنهم وراء قضبان السجون

لكنهم ألقوا إلى قرب الجدار جثته

وحدقتْ فيَّ وجوهُ الذكريات الميته

وجفَّفتْ مدامعي دموعُ الآخرين

* * *

غداً يمر موكب الجوع بدربنا القذر

فاخضوضري يا سنوات القحط
وانزل يا مطر ..
أغرق حقول الأرز والقمح
وأغرق النهر
وامسح بكفك الرمادية أحزانَ الشجر
لا بد أن تصبح يوماً غلةُ الحصاد لي
وتصبح السماء والأرض ومجرى الجدول
وتنتهي مجاعة التراب .
والبشر !

* * *

وذات يوم مظلم رطب ..
كسرداب طويل ..
صحا يهز راحتيه في تشنج ذليل

وكانت الأيدي التي تحكي مناجل الحقول
تمتدُّ في عينيه سوداء كأشجار النخيل
فانهار فوق الأرض ..
في حشرجة ممزقه
ثم تدلى من جدار الأفق حبل مشنقه
وجثة باردة تسقط في الوحول

# حدث في أرضي

أنا لا أملك شيئاً غير إيماني بشعبي ..
وبتاريخ بلادي
وبلادي أرض افريقيا البعيده
هذه الأرض التي أحملها ملء دمائي
والتي أنشقها ملء الهواءِ
والتي أعبدها في كبرياءِ
هذه الأرض التي يعتنق العطر عليها والخمول

والخرافات وأعشاب الحقول
هذه الأسطورة الكبرى .. بلادي

* * *

ذات يوم لم يزل يثقل بالنقمة أرواح جدودي
ذات يوم لم يزل يزحم أيام وجوديي
وقفت أرضي ترنو للمقادير حزينه
وقفت كامرأة تنسج أكفان السكينه
وقفت مطرقة الرأس مهينه
ورأت في نظرة واحدة .. أو نظرتين
نظرة خائنة صفراء ذات أجنحه
سفناً تزحم أعماق البحار النازحه
سفناً تغدو ، وأخرى رائحه
سفناً مكتظة بالأسلحه

وبأبناء بلادي

وبخيرات بلادي

وبتاريخ بلادي

ورأت ملء شقوق الأرض آثار سياط داميه

ورؤوساً عاريه

ووجوهاً باكيه

ودروباً كالقبور اختلطت كتل السود بها والماشيه!!

* * *

ذات يوم أبصرت أرضي حقول الأبنوس الجاريه

وهي تبكي في سكون وضجر

تحت رحمة البشر

وإرادة السماء والقدر

* * *

ورأت كيف تدور الساقيه

فوق أنهار بلادي

ورأت كيف يدوس الطاغيه

فوق أَبناء بلادي

ورأت في نظرة واحدة أو نظرتين

كلمة يكتبها الأبيض في ليل بلادي

يا بلادي

* * *

ذات يوم وقفت أرضي حزينه

حينما لاحت على الأفق سفينه

ولأن الحزن نار بارده

تتمطى في صدور من جليد

بقيت افريقيا مستعبده
تخلع القيد إلى قيد جديد !

* * *

ولأن الضعف سجن
ولأن الخوف سجن
ولأن الماضيَ المظلم سجن
بقيت افريقيا مستعبده
تنقب السجن إلى سجن جديد !

* * *

ولئن الموت عبد
ولئن الظلم عبد
ولئن الحر عبد في بلاد مستغله

ولئن القدر السيد عبد يتأَّله
والنبوات مظلَّه
والديانات تعلَّه
هب من كلِّ ضريحٍ في بلادي
كلُّ ميت مندثر
كلُّ روح منكسر
ناقما على البشر
كل اعداء البشر
كافراً بالسماء ، والقضاء والقدر

١٩٥٥

# الليل والحديقة المهجورة

الليل . .

ليل العبيد المتوّجين .. العرايا

القابعين تماثيل ..

فوق أرض الخطايا

الآثمين .. النبيين ..

القاتلين .. الضحايا

مثلي .. ومثلك

نحن المسوخ ..

نحن السبايا ..

* * *

الليل ..

هذي العيون المصعوقة المصدومه .

هذي الشفاه الغلاظ

المصبوغة .. المحمومه ..

هذي الحكايا القديمه ..

هذي الجراح الأليمه ..

هذي السواقي ..

التي تطحن العظام الرميمه

* * *

الليل ..

في كل ايل ..

يدوس فوق شعوري !

جنازة تدفن الحزن

في قبور السرورْ .

سحابة تمطر الموتَ

فوق روض نضيرْ ..

وجـــه إله غريب

معـــذب .. مقهور ..

* * *

قـد كانـ لي في رباه

حديقة مهجوره ..

يجرّد البوم فيها
أحزانه المستوره
ويلفظ الشجر الأسود .. العجوز عطوره ..
ويدفق الصمت .. واليأسُ ..
والظلال الحقيره !

* * *

دخلتها ذات يوم ..
على جناح الرياحِ
فأجهشت في ربيعي .
وأظلمت في صباحي ..
فرحت أطرد عنها
كآبة الأشباحِ ..

ورحت أخفي دوامي جراحها ..
في جراحي !

* * *

وكم صباح سجين
أطلقتهُ من دجاها ..
ونهرٍ من دموع
فجرته في ثراها
وشفقٍ .. علقته كفاي
فوق سماها ..
وطائر شقَّ عنها .. جمودها
فشجاها ..

* * *

وفجأة أبصرتْ

أعين الليـــالي الضريره

حديقة تتغنى ..

فيها طيور كثيره ..

وكان ثمة أصداءُ

صرخة مذعوره

لطائر باحثٍ ..

عن حديقة مهجوره

* * *

يا ليلُ ..

يا جبل الصمت

يا ضريح الظلالِ ..

ترى أغـطّتك بعدي

أوراق ريح الشمالِ

فحدثتك .. ومرت ..

عن أمسياتي الخوالي

وعن حديقة ورد

تجعدت في خيالي ؟

١٩٥٤

## الى امرأة عاشقة

لا .. لم يكن وهماً هواك

ولم يكن وهماً هواي ..

إن الذي حسبته روحك

قد تبعثر في خطاي ..

ما زال طفلاً صارخاً

جوعان يرضع من دماي !

* * *

وترددين ..

وأنت ذاهله ..

مطأطئة الجبين !

كيف استحلت على يديه

تراب تمثال مهين ..

كيف اختفت أيامه البيضاء

من عمري الحزين !

* * *

وترددين ..

وملء جسمك

رعشة متندمه ..

كم كان يهواني ..!

ويعبد روحي المتألمه

ويود لو يلقي ضياه

على سمائي المظلمه

* * *

وتضج في دمكِ الشهيّ

مجاعة الشوق الدفين

فأراك في جدران غرفتك الحزينه

تركضين ..

كالنور في قيد الدجى ..

كالدمع في عين السجين ..!

* * *

وأراك مطرقة على الأوراق

في صمت ضجر ..

وهمومُـك السوداء

حولك مطرقات تنتظر ..

كعجائز متجمعات

حول ميت يحتضر ..

* * *

ويمر يومك ميت الخطوات

كالشيخ الضرير ..

اسوان يثقله الدجى ..

والرعب ، والمطر الغزير

وتطل خلف زجاجه

أطياف شاعرك الأثير .

* * *

وتجيء مركبة المساء
بصوتها القلق الكئيب
سوداء تجثم فوقها
أقدام عملاق رهيب
وتجرها خيل محدبة
كألسنة اللهيب

* * *

وتروح واقفة ببابك
في عناد تنتظر ..
فأراك هابطة
تشد خطاك أغلال القدر
حتى إذا ضمتك ..

غابت في الظلام المعتكر

* * *

وتظل توغل في المسير
تشق أستار الغيوب
وتظل تقذفها الدروب النائيات ..
إلى الدروب ..
ويظل قلبك ..
مغلقاً فوق المواجع والندوب

* * *

وهناك خلف جزيرة مجهوله
خلف البحار ..
تنمو على شطآنها السوداء

أحزان النهار
وتشب أشجار الخطايا
مثقلاتٍ بالثمار

* * *

ستكف مركبةُ العواصف
عن موالاة المسير
وستهبطين غريبه ..
خرساء ، جامدة الشعور
تتكلمين بلا صدًى
وتقهقهين بلا سرور

* * *

ولسوف يزحف ألف وجه

ألف عبدٍ ماردٍ ..

من ألف كهفٍ مظلم

من ألف قبوٍ باردٍ

ولسوف يستبقون نحوك

في عويلٍ حاقد ..

ولسوف تضطربين

في ذعر عميق النظرة

وتموت صرختك الرهيبه

في ضجيج الزحمةِ

وكأنما حملتك رجلا آدميّ ٍ ميت

* * *

لكن أجنحة محلقه

ستقبل من بعيد

في لهفة مجنونة

تطوي انتفاضتها الحدود

وتضم رعبك في أسى

وتعود في وله شديد

* * *

وستطبقين جفونك

المسحورة المتبسمه

والحب يوقد في سراديب الكآبة أنجمه

وعلى شفاه الكائنات قصيدة مترنمه

لا .. لم يكن وهماً هواك

ولم يكن وهماً هواي

إن الذي حسبتِه روحك

قد تبعثر في خطاي
ما زال طفلاً صارخا
جوعان يرضع من دماي

١٩٥٤

# الأفعى

في ذلك الركن من قلبك
الحقير المرائي ..
تمتد مقبرة ضخمة ..
بغير انتهاء
فيها عبيد عرايا الأسى
عرايا الشقاء
تحمل أيديهم الشوهاء

حقد الدماء

وملء أرواحهم

نقمة على الأحياء

رأيتهم يتهاوون

في جمود المساء

والريح من حولهم

كالحوائط السوداء

والليل بئر كبير

مختلط الأشياء

وأنت .. أنت وراء الجميع

طيف القضاء

تضطجعين بصمت مرٍّ

كطعم الدماء

فى هودج ذهبيٍّ
مزركش بالضياء
يدوس فوق عظام الفانين
والغرباء
فتستبد بأذنيك لعنةُ الأصداء
وتضحكين بحقدٍ
بلذة باشتهاء
وتحلمين كأفعى
تنام في استرخاء
على رمال الصحاري
اللهبيَّة الصفراء
بفارس قدماه
فوق جبين السماء

أسود قد أنضجته

مواقدُ الصحراء ..

تفوح من إبطيه

رائحة الأنبياء ..

وفي خطــــاه ..

جلال النبوغ والكبرياء

١٩٥٤

# لقــاء

لعلك ما زلت مثلي ..

تعيشين في رعشة الليلة الخالده

فقد كان ملء الفضاء عويل

وملء عواطفنا الجامده ..

وكان لقاءٌ حزين ..

حزين كاوجه أيامنا الراكده ..

عرفنا به كيف يبكي التراب

وترتعد الجثث الهامده !

* * *

وحدَّقْتُ فيَّ بوجه غريب
عميق الكآبة .. عاتي القلق .
رأيتِ عليه خمول الرماد .
وذل الأنين .. وحزن الغسق
فشردتِ عينيَّ في كل وجه
وأطلقتِ روحي ملء الأفق
وألصقتِ فوق فمي بسمةً ..
كأنفاس مجمرة تحترق ..

* * *

ورحت أغنِّي
بأغنية ملوثة .. بدماء الخطايا ..

تردّدها صرخات السكارى

إذا طوّفوا ببيوت البغايا

ورحت أجرجر خطوي بعيداً

لأخفي عن الذكريات أسايا ..

لكي لا أراك ..

لكي لا أرى الثلوج تغطي الحقول العرايا

* * *

لكي لا أرى جثة ميته ..

تطل بعينين نحو الحياه

بعينين عذبتاني طويلا

وعلمتا كبريائي الشكاه

بعينين كنت أرى فيهما

خضوع العبيد ، وبطش الطغاه

وكنت إذا ما سئمت ترابي

حلَّقتا بي نحو الإله !

* * *

وغبتِ .. وغبتُ بقلب الزحام

زحام الطريق .. الطويل .. القديم

وكل الذي بين أجفاننا

سماء مكفنة بالغيوم

وكل الذي خلف أعماقنا

مقابر معشوشبات الهموم

وكل الذي سوف يبقى لنا

من العمر .. رعشةُ حب عظيم

١٩٥٥

# الشك

كان الدجى أسود من لعنةٍ

من صرخة حاقدة في الصدور

وكان طولُ الدرب ، طولَ الأسى

طولَ اكتآبات شبابي النضير

وكانت السحب تغطي السما

كأنها أكفانُ ميت فقير

وكنت أمشي متخماً بالردى

كدودة تزحف بين القبور

* * *

وكنتِ في فكري ، في أعيني ..
كنت أمامي في الفضاءِ الكبير
امرأة عريانة ترتمي
فوق سرير خشبي صغير
سمعت وحدي خلف سور الدجى
خلف سكون الكائنات المثير
رجفتها رجفة صفصافة
تهزها ريح مساء مطير
حتى تعرّت كل أغصانها
من عزة النور ، ومجد العبير
فارتعشت كل معاني الورى

ساقطة تحت حذائي الحقير
وانهار في سمعي صدى معبد
يهوي إلى الأرض حزين المصير
وعانقتني نقمة
لم تطف يوماً بأعماق إله صغير
وانبعثتْ ناريَ مسعورة
تأكل في صدري حتى الضمير
لكنني بالحقد أطفأتها
أطفأتها بالاحتقار الكبير
فأي أنثى .. أي مخلوقة في الأرض
تستأهل هذا الشعور ؟!

١٩٥٤

## هواها

تقولين أن يدي ضيعتك
وقد كنت تحيين ملء عروقي
وان هواك العظيم .. العظيم
زجاج تحطم فوق طريقي

* * *

وإنك أصبحت قبراً قديماً من الذكريات
يعيش بقلبي

ينام الشذى فوقه والعفونه
والورد والشوك جنب لجنب

* * *

وأني أصبحت عنك غريبا
يمر عليك فلا تعرفينه
غريباً تلاقيتما مرة
وغطتكما ظلماتُ المدينه

* * *

إذن فاسمعي إنني سأغني
سأعزف لحن الجناز الكبير ..
فقد آن لي أن أهز الحياة بحزني ..
بكل مراثي القبور

* * *

سيحيا بقلبي كلُّ صباح هواك ..

ويذبل عند الهجوع ..

فأدفنه في خرائب نفسي

وألقي عليه تراب الدموع

* * *

وأسهر طول ليالي الشتاء

أضيء الشموع . وأطفي الشموع

وأقطف زهر الظلام الحزين

وأنثره فوقه في خشوع

* * *

وأحنو بكل كياني عليه

وألثم جبهته البارده

وأغرق ناري في شفتيه

وناري ملعونة حاقده !

إلى أن يجيء الصباح الجديدُ

وينفجر الدم ملء السماء

فيحيا بقلبي هواك الشهيدُ

فأندبه خلف سور المساء !

١٩٥٤

# الضحايا

الأرض مزحومة بالمصفَّدين الضحايا

والأفق غيمانُ .. غيمانُ مدلهم الزوايا

والدرب منطفىء اللون

في شحوب البغايا ..

ففيم خطوك فوق العظام ..

فوق البرايا ..

وأنت عريان إلا من هموم العرايا

وغيمـة من دموع ..

وخيمه من خطايا .

يا دائس الظلمة ..

ارجع محمَّـلاً بالشكايا ..

إن الطريق طـويلٌ ..

تغفو عليه المنايا ..

* * *

لكنه ظل يمشي

على جباه الصخور

معذب الوجه ، والنفس

والخطى .. والشعور ..

حتى تراءى له في ظلال بعض القبور

قبر غريب عليه بقية من زهور

فانهار يدفن عينيه

في أسى مستجير

ففي ثرى ذلك المدفن الصغير الصغير !

نامت قلوب البرايا

في قلب « ناجي » الكبير ..

* * *

وقال ، وهو كئيب

مستغرق في صلاتهْ

كم شاعر مثل ناجي

مضيَّع في حياته

وشاعر وهو حي

يمشون فوق رفاته

وشاعر جرَّدوه بالحقد من معجزاته

وشاعر توجوه على حطام بُناتـه
وشاعر خلَّـدوه والموت بعض صفاته
وشاعر مات حلم الخلود في نظراته

* * *

وقال . والدود نشوان من بقايا الضلوع
رُبَّ ليال قضاها ناجي
بقلب وجيـع ..
مثل نبي عظيم
مجلل بالخشوع
يبارك الساقطينَ ..
الباكين خلف الربيـع
وينثر النور ، والحب في طريق الجموع
حتى إذا غسل الفجر وجهه بالدموع

مضى يواري أساهُ

عن سخريات القطيع !

* * *

وبينما هو مصغ إلى السكون الرهيب

توشح الأفق بالنور والجلال المهيب

ورف صوت إلهٍ

مجنح من قريب

فيه غموض الدياجي

وفيه عمق الغيوب

وفيــه دق النواقيس

وابتهال الغروب

وفيه حزن نبي معلق في الصليب

وفيه روح غريب

كروح ناجي .. الغريب

* * *

ورددت جنبات الفضاء رجع النداء

وراح يغمس عينيه في سحاب الضياء

وراح يسكر أذنيه من جلال الغناء

« إن الضحى مشعل في أصابع الظلماء

إن الربيع زهور على طريق الشتاء

إن الحياة دروب إلى قبور الفناء

إن العذاب جناح الشهداء نحو السماء

* * *

وظل يصغي إلى الصوت مطرقاً في سكينه

حتى إذا ابتلعت هوة الظلام حنينه

مضى ينفّض عنه أعباءه وسنينه

ثم انحنى في خشوع ..
في رعشات حزينه ..
مقبِّلاً قبر « ناجي »
والريح تسفي جبينـــه
وعاد يدفع رجليـه
نحو سور المدينـه !

١٩٥٣

# العائدون من الحرب

لقد عدنا .. أجل عدنا من الحرب ميامينا

على أعناقنا .. قد عبأوا النصر رياحينا

ومن أفواهنا قد جسَّموا المجد .. أرانينا

لقد عدنا .. ولكن لا كما شاءت أمانينا

إلا يا ليتنا متنا بعيداً عن أراضينا .. !

* * *

لقد عدنا من الحرب إلى الحقل .. إلى المصنع

لكي نحرث ، كي نبذر ، كي نحصد كي نجمع
لكي نبني للغير .. لكي نطهو ولا نشبعْ
لكي نحلم بالفجر الذي من يدنا يسطع
لكي نصنع حرباً ضخمة أخرى .. لكي نصنع

* * *

لقد عدنا إلى الأكواخ .. أكواخ أهالينا
وكنا قد كسوناها بأسمال أمانينا
فماذا أبصرت أعيننا غير مآسينا
وغير الطلل الموجع نبكيه .. ويبكينا
وإن لج بنا الشوق لمسناه بأيدينا

* * *

لقد عدنا ألا تبصرنا تبصر بلوانا
بقايا آدميين مساكين .. بقايانا

نجرجر خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا
ألا ليت الذي رقّعنا بالموت أبلانا .
ولم يبق لنا كالناس أشواقاً ووجدانا .

* * *

لقد عدنا .. أجل عدنا .. ولكن عودة المقهور
شربنا عرق الحرب .. أكلنا صدأ التنور
لبسنا كفن الثلج .. سكنا جدث الديجور
وها عدنا إلى القيد .. إلى قيد الأسى المضفور
فيا ضيعة هذا العمر .. هذا الصدف المكسور

* * *

وقالوا .. قال رب السوط ، والقانون والقوه
سأمضي قبلكم .. إني لكم . لقطيعكم قدوه
ولكنّا مضينا وحدنا نحتضن الهوه

وظل السيد المعبود في رقدته الحلوه
وكانت كأسنا الموت
وكانت كأسه الشهوه ..!

* * *

فماذا يبتغي الجلاد ، ماذا يبتغي منا ؟
لقد سرنا كما شاء ، وعدنا لا كما شئنا
هدمنا ، وتهدمنا ، وعذبنا ، وعُـذبنا
وكم حلم سحقناه ، وكم مقبرة شدنا
وكم من مرة متنا ، وكم من مرة عشنا

* * *

فلا بارك هذي اليد ، لا باركها رحمن
إذا لم تسق بالحب طمأنينية الحيران

إذا لم تك فأساً في جدار البطش والطغيان
إذا لم تك ميزاناً لروحانيه الإنسان
إذا عاشت لغير النور والرحمة والإيمان

١٩٥٥

## هذا الشعب

مشى على الشوك أزماناً وأزمانا

وعانق الأرض جوعاناً وعريانا

وخرَّ تحت أنين الفأس مقبرة

ودبَّ خلف زوايا الكوخ جرذانا

وذاب بين سواقي الليل أغنية .. حزينة

وذوى في الدوح أغصانا

وعاش يسقي تراب الأرض من دمه

ويحصد الحقل أشواكاً ونيرانا !
حتى إذا قيل ماتت آدميته
وهو الذي هوّن الدنيا .. وما هانا
وقيل : لم تدع الآلام منه سوى
محنط .. يحمل الأيام أكفانا ..
تحرَّك المارد العملاق في دمه
وشب يزحم شرياناً فشريانا
وحط من شرفات الموت صاعقه
وهب عاصفة .. وانساب طوفانا
وأبصرت مقلة التاريخ آلهة
مخلوعة ، وطواغيتا ، وأوثانا
وطاطأ القدر الجبار هامته
وخرَّ فوق ثراه الحر إيمانا

* * *

آمنت بالشعب جوعاناً وعريانا

آمنت بالشعب أسواناً وحيرانا

آمنت بالشعب .. بالشعب الذي اشتعلت

زهوره في يد الجلاد نيرانا ..!

فهبَّ ترقص رجلاه على جرفٍ هاوٍ

وترتجف الكفان خسرانا

لم يغنه أمسه الباغي . ولا غده

لما تفجر حقد الشعب بركانا ..

ناداه .. يا أيها المغرور قد وجبت

إرادة الشعب .. فاخلع تاجك الآنا

كفاك منا ضرعات وإذعانا

وحسبنا منك تخريباً وطغيانا

* * *

فمن رآه وقد دفت سفينته

والشمس تطلي جدار الغرب أحزانا

رأى جنازة طاغوت تشيّعه

لعنات أمته .. شيباً وشبانا

رأى وجوهاً ، وأعناقاً ، وأذرعةً

تكاد تطفر أحقاداً وأضغانا

رأى شعوباً إذا ديست كرامتها

داست عروشاً ، وأرباباً ، وتيجانا

١٩٥٢

## عودة نبي

### ( كتبت في ذكرى الشابي )

---

حسبك من فنك هذا الخلود
يا أيها الشادي بسحر الوجود
بعثت شعباً من سجون البلى
وأمة ترسف تحت القيود
سكبت لحن الفجر في قلبها الصادي
فأرعشت دجاها المشيد ..

واغرورقت بالشوق أعماقـها

واخضوضرت أحلامها من جديد

واستيقظ الماضي البعيد المدى

وانتفضت حتى عظامُ الجدود

فاسمع برغم الموت أصواتها

مختلطات باللظى والحديد

وشُقَّ صدر القبر ..

واعقد لها من شعرك الخالد أسمى نشيد

فصرخة الإيمان أقوى من الموت

وأبقى من تراب اللحود ..

يا أيها الذاهل في حلمه ..

يجذب عينيه الفضاء البعيد

أقسمت ما ضاع هُتافي سدى

لكنه هز ثراك المجيد ..

كأنني أسمع شبابة

حنينها الجارف يطوي الحدود

كأنني أبصر ذا غربة ..

يود من غربته أن يعود !

* * *

يا معجز الأرض بفن السماء

ومعجز الموت بسر الخلود ..

كم زحزحت كفاك من صخرة

سدّت على الفجر طريق الصعود

وكم مشت روحك في هوة

صباحها خلف الزوايا طريد

وكم حضنت الشوك ..

مستغرقاً في فكرة مملوءة بالورود

وعشت كالمنبوذ ..

في أمة هدَّت قواها مومياء الجمود

ومت .. لكن الذي لم يمت

هذا البناء الضخم .. هذا القصيد

شعر كأشواقك يغزو السماء امتداده

كالسنديان العتيد ..

شعر تمزقت عليه ..

كما تمزقت فوق السحاب الرعود

وانتبهت تونس مذعورة

مع انتفاضات الصباح الوليد

انتبهت تبحث عن نفسها .. عنه .

عن الشادي الحزين الشريد

واستيقظت أعماق افريقيا ..
تغسل بالنور خطايا الجدود ..
وانطلق المارد من سجنه
تسحق رجلاه بقايا السدود
وعدت يا شابيُّ حرية ..
ثائرة ملء ضلوع العبيد
وعدت عزماً في وجوه الأسى
ويقظة ملء عيون الرقود
وعدت يا شابي في ناظر الأعمى
وفي قلب الأصم القعيد
عدت نبياً كالنبيين ..
لو تدرك معناك عقول الوجود !

١٩٥٣

## قصة

## ( الى روح صالح علي شرنوبي )

---

نم عميقاً .. فالموت حلم طويل

همجي الرؤى .. كحلم الحياة

والأُلى أنكروك يوماً .. سيأتونك يوما

في خشعة والتفات ..

وسيحكي التاريخ للغد .. للأجيال

تلك المجهولة اللمحات ..

قصة الشاعر العظيم .. العظيم الحلم واليقظة

العظيم الصفات ..

حين غنى لقومه خير ما غنته

شبابة من الصلوات ..

فتناسوه كافرين بما غنى

وما في يديه من أغنيات

مطبقين الآذان عن صرخات الروح ..

عن عبقرية الصرخات

محرقين البخور للنصب الجوفاء

ذات المشاعر الصدئات

فبكاهم ..

بكى العيون التي لا تبصر إلا مواطىء السادات

وبكى الأمة التي يستوي الموهوب فيها بالناظم
النحات

وبكى نفسه ..
فقد كان قلباً عاطفياً موزّع الرحمات
ومضى عاري الربيع من الأوراق ..
حتى أوراقه اليابسات ..
نادباً كالخريف أزهاره البيضاء
أزهار عمره النضرات
ضائعاً كالضباب . غضبان كالبركان
غضبان كالثرى بالنبات
جائعاً كالظلام .. عريان كالنور
حزيناً كأوجه الثاكلات ..
شارباً خمرة الهجير .. ودمع الليل

ونار العواصف الجامحات ..

ثم لما أرخت يد القدر الفنان

ستار المأساة .. الملهاة ..

اصبحوا حافلين بالنعش

في حزن كبير .. بالجثة الملقاة

وأتوا ينثرون فوق صخور القبر

ورود العيون والمهجات

فظلام المنون كحَّـل أجفانهمُ

بالنفاذ والانصات

وجلال المنون حرر ميزانهم

من عبودة الشهوات

* * *

أبداً لم تمت ، فمثلك فوق الموت

فوق النسيان والذكريات

إنما الموت للزواحف فوق الأرض

لا للمحلقين البزاة

ولقد كنت في حياتك كالنسر

قوي الجناح والضربات

تقطع الكون في انتفاضة ذهن

وتجوب القرون في لمحات

وتهد الوجود هداً وتبنيه

كما شئت شاعري السمات

كنت تستلهم الحياة أغانيك

فاقبلن نبّضاً بالحياة

لا عظاماً محنطات

عليها رغم لون الطلاء ، لون الممات

* * *

أبداً لم تمت فمثلك فوق الموت فوق النسيان
والذكريات

١٩٥٢

# قطرة ضوء

يا جفني الساهد .. نم

قد رقدت حتى الظلم

حتى حقول الحنطه

المتشحات بالسقم

حتى مسارج الزيوت

العالقات في الخيم

حتى عيون الأفق

المنطفئات في سأم

حتى مباخر الشذى

حتى مراوح النسم

حتى أراجيح الظلال

الراقصات بالقمم

لم يبق في الوجود

كائن سوانا لم ينم

نحن الذين نقطر الضوء

بأجفان الرمم ..

يا كم تكحلنا بليل ..

وتدثَّرنا بهَم !!

وكم مشينا فوق شوك اليأس

من نجم لنجمْ

وكم حرثنا حقلنا ..

بفأسنا الأعمى الأصم

وكم حصدناه .. حصدنا

ما زرعنا .. ثم لم !!

بلى .. جنينا ملء أيدينا

جراحات .. ودم !

كأننا لما زرعناه

بذرناه ألم ..

* * *

يا جفني الساهد نم

قد رقدت حتى الظلم

# الى مومياء

كان ليل .. وكان صبح ..
وكانت قصة آدمية محتومه
قصة تعرفينها ..
فلقد مثلت أدوارها معي يا أثيمه
ومضينا .. أنا .. وأنت
فقد تمت فصول الرواية المرسومه
ومضينا كل إلى حيث يبني من جديد

أيامه المهدومه ..
وكأن لم تكن لنا ذكريات
حفرتها أقلامنا المحطومه
ونسينا .. أنا .. وأنت
نسينا كل شيء حتى حديث الخصومه
وهوانا العنيف كم كان ضخما ..
والمواعيد .. والأماني القديمه
والطريق الطويل .. والمنحنى الضيق
والسنديانة المهمومه ..
ونسينا الكوخ الذي تتبناه ..
الأكف المعشوشبات الكريمه
ذلك الكوخ كم لنا فيه من ذكرى
وكم من حكاية مردومه ..

كم مساء ما زال نشوان ..

ما زالت بقاياه حيث كنت مقيمه

لم تزل منه صرخة في عيون الهرِّ

في أوجه الطيور الرحيمه ..

حينما كنت .. كنت حقل هشيم

ترتمي فوقه رياح عظيمه ..

حينما كنت يا شقية ..

تسفين هجيري ظلالك المحرومه

كنت تحيين في دمائي

وأفنى أنا في ساعديك .. في ديمومه

إن تكون نسيتني ..

ولقد تنسين حتى أنفاسك المحمومه

فالمسي جسمك الثمين .

فقد أدمته يوماً أظافري المنهومه

والمسي شعرك الثري ..

ففوق الأذن والأذن خصلة معدومه

والمسي ثغرك المليء ..

فكم أفرغته .. كم أذبت فيه جحيمه

واسألي كل ذرة فيك ..

تصرخ : إنني كنت في يديه غنيمه !

* * *

غير إني لا زلت ظمآن ..

لا زالت بقلبي من اللظى جرثومه ..

لم أزل جائع الحياة إلى الصيف ..

إلى أمسياتك المرجومه ..

فتعالي يا لعنتي ..

قبلما تجمد نيران كأسك المسمومه

قبلما تذبلين .. تذبلك الأيدي ..

وأيدي المروّضين رجيمه !

قبلما تطرقين بابي .. باب الكوخ

مسحوقة الصباح .. حطيمه ..

وعلى وجهك الرخامي ..

ألقى معول الليل يأسه ووجومه

وبعينيك .. يا لآلام عينيك ..

حنين إلى الليالي اليتيمه ..

غير أني لن أستجيب لهذا الصوت ..

صوت الأنوثة المهزومه ..

أبداً .. لن أستجيب ..

وإن كانت ستبكيك في فمي ترنيمه

فلياليَّ لا تزال كما تدرين ..
مخضرَّة الهوى .. مزحومه
وستمضين للطريق كما جئت ..
كما أقبلت خطاك .. أليمه ..
وستأتيك من بعيد .. مع الريح
تناهيد آثم وأثيمه ..
فتعالي يا رغبتي ..
قبلما يركم في دربك الزمان همومه
أقبلي .. قبلما تجفين .. تحترقين
تمسين مومياء قديمه !

١٩٥١

# نحو الصباح

حيران .. يقظان يا فؤادي

والناس هانون راقدونا

الليل نحو الصباح جسرٌ

بنى الدجى فوقه الحصونا

تعبره الكائنات وسنى

بينما عبرناه ساهرينا ..

فامش معي ، امش يا ابن ذاتي

ولندع القوم حالمينا ..

لعلنا ندرك الأماني

من قبل أن ندرك المنونا

لا تحسد الناعمين ..

واحسد بني العذاب المسهدينا

أولاء آباؤهم بنوهم

ونحن من يبتني البنينا

ومن يرم مثلنا طموحا

هيهات أن يطبق الجفونا

والنوم للخاملين ..

لا للمكبلين .. المعذبينا

لست ابن من أقطع الرعايا

ولا ابن من شيد السجونا

لكنني ابن العواصف ..

ابن السيول ، والنار أجمعينا

ابنك يا شعب ..

يا صباحا يستل أنفاسه دفينا

* * *

ماذا أرى يا ظلام ؟

ركبا تحت الدياجي محدبينا

حافين ، عارين ، لاهثينا

باكين ، شاكين ، ضارعينا

وراءهم مارد رهيب

يزرع في الأنفس الشجونا

تقطر جنباه كبرياء

ويغتلي صدره جنونا ..

يدوس هذي العظام دوسا

كأنه طاحنٌ طحينا ..

فابك معي موكب الضحايا

يصعّد الشجو والأنينا

روايةٌ مُثلت قديما

مثّلها خفرع ومينا

ولم يزل بعد ألف قرن

فرعون يستعبد القرونا

قد سارت الكائنات قدما

فما لنا نحن جامدونا !!

* * *

ماذا أرى يا دموع !

قصراً أراده المجد أن يكونا

حيطانه تلك !

أم مرايا من فوق حيطانه جلينا ؟

كأن جدرانه الزواهي

سقين بالشمس .. أو طلينا ..

يا جنة الخلد في مداه

وحوله تفتن العيونا

إنا عدمناك مشتهينا

كما اشتهيناك معدمينا

لا تعبقي بالنسيم ..

إنا من نتن الكوخ زاكمونا

لا ترقصي للربيع ..

إنا من ظلمة الكوخ قد عمينا

* * *

ماذا أرى يا حياة ؟

إني جننت من حيرتي جنونا

قبران !..

ذا شيد من رخام تخطف ألوانه العيونا

وذاك في صخرة نحيتْ

أقسمت ما كاد أن يبينا

هذا عليه الربيع ضاف

يرف ورداً وياسمينا

وذاك يمشي الخريف فيه

يبارك العوسج اللعينا

ويلاه يا عدل ..

يا سطوراً تنطق بالسخريات فينا

حتى أمام الفناء فرق ميَّـزنا جوهراً وطينا !

* * *

يا أمة تعبد التماثيل والطغاة المتوجينا
أقسمت لا تحملين إلا منافقين أو كافرين
فامش معي .. امش يا رفيقي
مثلي مستغرقاً حزينا
فماسة الصبح قد أشعت
والقوم قد فتحوا الجفونا

١٩٤٩

# الضعف

ما بيدي أن أرفعك ..

ولا بها أن أضعك

أنت أليمٌ ..

وأنا أحمل آلامي معك

وجائع ..

ومهجتي جوّعها من جوّعك

وأنت عارٍ

وأنا .. ها أنذا عارٍ معك

يا شعبي التائهِ ..

ما أضيعني ، وأضيعك

ما أضيع الثدي الذي أرضعني ..

وأرضعك

يا ليته جرعني سمومهُ

وجرَّعك

فما احتقرت أدمعي

ولا احتضنت أدمعك

ولا انكفأتُ فوق قبر اليأس

أبكي مصرعك

* * *

أيتها الجميزة العجوز

من ذا زرعك

يا غرسة الخمول

لا بورك حقلٌ أطلعك

هيهات أن يكون مبدع النجوم مبدعك

أما سئمت تحت أقدام الدجى مضطجعك

فقمت في نهر الطموح

تغسلين أذرعك

كم جنح الريح بواديك

فهلّا اقتلعك

وانتفض الفجر حواليك

فهلا صرعك

ففكرة الحيـــاة

أن تبدعني ، أو أبدعك

وفكرة الفناء

أن تصرعني أو أصرعك

يا ليتني عاصفة ، قاصفة

كي أسمعك

١٩٥٢

# تحت الأمطار

« أيها السائق

رفقاً بالخيول المتعبه !

قف ..

فقد أدمى حديد السرج لحم الرقبه

قف ..

فإن الدرب في ناظرة الخيل اشتبه »

هكذا كان يغني الموت حول العربه

وهي تهوي تحت أمطار الدجى مضطربه !

* * *

غير أن السائق الأسود ذا الوجه النحيل

جذب المعطف في يأس

على الوجه العليل ..

ورمى الدرب بما يشبه أنوار الأفول

ثم غنى سوطه الباكي

على ظهر الخيول ..

فتلوت ..

وتهاوت ..

ثم سارت في ذهول !

١٩٥١

# النهر الظامىء

أريد أن أعشق .. أن ألمس الأعماق ..
أن ألمس أعماقي ..
أن أعبد الله كما لم أكن أعبده
في عمري الباقي
بي ظمأٌ .. بي ظمأٌ قاتل
فأين ينبوعك .. يا ساقي !
أكاد لا أبصر حيث ارتمت عيناي

إلا دَم أشواقي ..

أطفىء بإعصارك هذا اللظى الأسود

في قلبي .. وأحداقي

أطفئه إني نهر ظامىءٌ للحب

في جنة عشاق ..!

* * *

إن هُزت الريشة في أنمل الرسام ..

في سكرة إبداعه ..

فالصورة الشوهاء ما ذنبها

ألم تكن غلطة إسراعه

وكيف تشقيني بما لم تكن لي طاقة

في رسم أوضاعه ..

سئمت جدبي في ربيع الورى ..

وظلمتي في نور أمتاعه ..
وثورتي في ظل أحلامه
وصرختي في صخر أسماعه
سئمت ضعفي ..
آه للبئر لو لم تطلع الشمس على قاعه !
وآه لي لو لم يعانق دمي كرمتها ..
كرمة أحلامها ..
وآه لي لو لم يذوِّب فمي ..
هذا الجفاف الضخم .. في جامها
ولو تدثرت بموتي ، ولم تلفني خضرة أيامها !
ولم أباركها بصوفيتي ..
ولم تطهرني بآثامها ..
لسوف أحيا في الورى ثائرا

على معانيها .. وأحكامها
محتقراً كل نواميسها
حتى ألوهية أصنامها ..!

* * *

قالوا : لك الفن.. ولم يجتمع في كائن قبلك مجدان
والفن أشواق ألوهية تولد .. في أعماق إنسان ..
والفن أقباس سماوية
والناس ألعوبة فنان
فخل للفنانين دنياهم ..
فإنها معرض ألوان ..
وامش بآلامك في عيدهم
فإنها آلام رحمان
واحمل بجنبيك جراحاتهم ..

وخلد القسوة في الفاني !

* * *

فقلت ، والرغبة في داخلي ..

عاصفة .. ماردة .. عاتيه ..

يا ليتني راع ، عتيق الرداء ..

ذو عصا ، مشقوقة ، باليه ..

شرابه من دمعة الساقيه ..

وقوته من مهجة الداليه..

يسوق للغابات أغنامه ..

وروحه .. كروحها صافيه

راع له صاحبة ترتجي عودته في الليلة الشاتيه ..

حتى إذا عاد إليها ارتمت في حضنه أدمعها الهانيه!

* * *

يا ليتني فراش نحل ..

جناحاه على هيكله شعلتان

يعيش في منعطفات الشذى

فوق حدود الوهم .. فوق الزمان

ورشفة ترويه .. أو رشفتان

وحسوة تغذوه .. أو حسوتان

حتى إذا عاد إلى عشه الشمعي في أودية السنديان

خفت له أنثاه فرحى ..

وفوق مقلتيها نبتت ضحكتان

يا ليت قلبي قلبه ويدي جناحه

وموطني اللامكان ..

* * *

يا خالق الإنسان من طينة

وخالق الفنان من طينة

عذبتني بالفن ..

عذبتني بهذه النار السماويه

لسوف ألقاك غداً صارخاً بكل ما فيَّ من اللوعة

لم تشقني دمامتي في الورى

لم تشقني .. إلا حساسيتي

أدعوك لا تشق بها كائناً بعدي

فهذه النار من قسمتي ..

رضيت أن أفنى على وهجها ..

لكي يعيش الفن في مهجتي !

١٩٥٤

# السفر

الباب .. والسور .. ولون الحائط السقيم
ودرجات السلم المتسخ القديم ..
وأوجه النوافذ الباهتة الرسوم ..
تطل منها أعين بادية الهموم ..

* * *

والساحة العجوز تستغرق في الشكاه
كأنما تنوء تحت ثقَل الحياه ..

وعربات الخدم المطرقة الجباه ..
وصرخات الباعة المرهقة الشفاه

* * *

والناس كلما مضت مدخنة القطار
تصرخ في وجوههم بغربة الديار
تهدمت من فوقهم جوانب النهار
وزلقت أرجلهم على بساط نار

* * *

وجرت الأعين في الوجوه كالأكر
وأثقلت كل يد حقيبة السفر ..
فكم فم على فم هنالك انتحر
ودمعة واقفة كأنها حجر .

* * *

وألف منديل صغير أبيض الحنين
يخفق في ألف يد مكتومة الأنين
مثل جناح طائر في رقصة المنون
مثل سراج أرمل تموت في سكون

* * *

وكانت الساعة في الجدار تنتظر
حين مضى بندولها يهتز في ضجر
كأنه صاعقة في ساعد القدر
كأنه يضرب في بناية البشر !

١٩٥٣

# عندما يتكلم الشعب

بالأمس .. والليل، والصمت، والكرى في المدينه
رأيت شعباً كبيراً ، من الشعوب الطعينه
يدوس في كبرياء ، أصفاده وسجونه
والشمس تغسل بالنور ، دربه وجبينه

* * *

بالأمس .. والأمس ما زال في دمائي صداه
دقت نواقيس مصر .. دقت بقلب الحياه

تعلن باسم الضحايا ، باسم الجياع العراه
أن الإرادة للشعب ، لا للملوك الطغاه

* * *

بالأمس أبصرت ريحاً تطوف كل البحار
وقائداً ، وسفيناً تغوص نحو القرار
وراية تتدلى ، في ذلة وانكسار
كانت بأرضي يوماً ، راية الاستعمار

* * *

بالأمس سرت صفوفاً مشدودة في الحبال
ومت جوعان ، والفأس في يدي لا تزال
وباسم عرش الخديو الغالي حفرت القنال
وباسم خائن مصر تدفق الاحتلال

* * *

بالأمس ثار عرابي باسمي في عابدين
وفي دجى كل منفى مشيت عالي الجبين
وكل ضربة سوط ، دوت بجنبي كل سجين
حملتها بين جنبي ، من يد الظالمين

* * *

بالأمس سالت دمائي على ثرى دنشواي
وكان زهران يمشي إلى الردى بخطاي
وحينما شنقوه ، تلقفته يداي
وحينما حملوه ، دفنته في دماي

* * *

بالأمس والسوط يعدو خلفي ، ويوهن صوتي
عانقت أرضي ، وفارقتها بحزن وصمت
وعشت وجهاً ، غريباً ، مشرداً ، نصف ميت

حتى إذا مت ، قبلت تربها رغم موتي

* * *

بالأمس أثقلت روحي بباقة من ورود
وسرت بين قبوري ، مستغرقاً في شرود
ثم انحنيت ، وقبلت رأس كل شهيد
وكان قبر الخيانات مطرقاً من بعيد

* * *

بالأمس مرت بأرضي خمس وسبعون عاماً
مرت فصفت عليها الطغاة والأصناما
وصبت الدم ، والدمع ، في حلوق اليتامى
وولولت في دمائي تمرداً ، وانتقاما

* * *

بالأمس ناديت أرضي ، فاستيقظت من كراها
استيقظت تحجب الشمس أوجها ، وجباها
استيقظت تنفض القيد صاغراً عن خطاها
وتسترد بطولاتها ، وتعلي علاها

# اذكريني
# يا أفريقيا

# اذكريني

# يا أفريقيا

# الإهداء

إلى شهداء ثورة ٢١ أكتوبر ..

الذين لم يموتوا أبداً .

# اغنية حول الشمس

الخيل تركض ..

السحاب يركض

الرياح فوق أمواج الغيوم مسرعه

الخيل بانفعالها ، بشوقها مقنعه

يرتطم الحافر بالحافر

تلتقي الرؤوس بالرؤوس

تحت سروج الخيل تولد النجوم والشموس

اللجم المذهبات
والعمائم البيضاء
والرايات
والطبول ، والبوقات

* * *

يا وطني
عباءة الناصر من ورائه
مظلة على الأفق
وسيفه المهند الصقيل
في لون الشفق
وجبهة الناصر ، صانع البطولات
تكاد لا ترى من العرق
وددت لو قبّلت تلك الجبهة السمراء

فهي سحابة ترش الأرض بالنماء
وهي حمامة بيضاء
طارت ألف ميل
وهي هي العودة بعد وحشة الرحيل
وهي الوصية التي أوصى بها
جيل النبيين لهذا الجيل

* * *

يا وطني
ها هو ذا الناصر عاد
المجد والجلال في ركابه يسير
والفرح الكبير
والحب ، والضياء ، والزهور
يا أيها الثوار

يا أيها الأحرار
يا من وقفتم وحدةً
في وجه الاستعمار
يا من تحديتم قوى الظلام والدمار
يا من تعيشون جلال هذا العصر
عصرنا العظيم
يا من غسلتم عن جبين الشرق
عاره القديم
طَوبى لكم
طوبى لكم فارسكم مغوار
أدار وجه الشمس فاستدار
وعلَّق النجوم والأقمار
على طريق الليل والنهار

* * *

يا فرسي العرجاء

أسرعي الخطى

فالشمس في السماء

والركب يدوس الأضرحه

يا فرسي العرجاء

أسرعي الخطى

ليتك ذات أجنحه

١٩٦٤

نار ضحايانا
تسيل في حنايانا
فلنتكىء حيناً على عظام موتانا
ولنصمت الآنا

— ٢ —

برج كنيسة قديمة ، وراهب قلق
وغيمة تحك فَخْذَيها ، وتعبر الأفق

ورجل بلا عنق

وامرأة على الرصيف تنزلق

وقطة في أسفل السلم تختنق

وصوت ناقوس يدق

يرسم نصف دورة على الفضاء

ويدق !

- ٣ -

عجائز الطيور

والمومياوات شواهد القبور

تشد شعرها الرمادي على الجسور

وتحرق البخور

وتلعن الزمن

هذا زحام من ؟

تبعتُـه ، سقطت ميتاً ، أدركني الوهن

لمن إذن ؟

يا عالم الخطاة والمهرجين

مشت النار على الأرض

لمـــن

- ٤ -

يا للهوان

لا يزال الزيف سيد الألوان

والشعراء

الأنبياء

غرباء

يجردون الضحكا

من البكاء

ويذسجون حلم العنقاء
بينما العروش والأوثان
تجرفها مكنسة الزمان
وقيصر القديم
صنم الأصنام
والسلطان
خادم الاسلام
أغلق باب قبره
ونام

١٩٦٥

# البنفسجات الثلاث

لو فجأة تدفق الياقوت

يا أميرتي السوداء

لو تضرم السكوت

لو تعرجت حوائط البيوت

لو رأيت شاعراً يموت

جثته طريحه

وقلبه حمامة ذبيحه

ودمه على الثرى عباءة حمراء
تنقرها الغربان والسلاحف الحدباء
فما الذي كنت ستصنعين !
ما الذي كنت ستصنعين ؟
تنتزعين زينة العرس
وتلبسين زينة الحداد
وتندبين !
وربما بصقت نقمة على الجلاد
لأنه أسكت صوت شاعرك
أسكت صوت رجلك
وربما ستذكرين مقلتيه كيف كانتا
وتشهقين يا أميرتي
لكن إلى متى ؟

* * *

أول عشاقك ؟

جاء بعد ما ذهبتُ

رأيته يمشي على قبري فابتسمتُ

فغرت فاهي

يده تنام في يدك

ثم مضيتما تقهقهان

وتركضان

يا إلهي

اتئدي

هذا رفات جسدي

يوجعني كل رفات جسدي

أزهرت البنفسجات السود في يدي

العقم والظلام والصقيع

فلتتمدد الجذوع

إن وراء هذه اللحود

مسافراً على قطار لن يعود

أواه .. يا أميرتي الحزينه

لضعفنا نحن رسوم الزينه

الأصص .. الزخارف ..

الساعة في واجهة المدينه

* * *

بداية الرواية الألم

خاتمة الرواية الألم

أكذوبة هي الرواية

أكذوبة هو الألم

١٩٦٥

# قارع الطبول !

من ذلك الوادي الرَّماديِّ أنا

لو انحدرتِ في الصخور مرتين

وأرتطمت في الضباب مرتين

ثُمَّ درت دورتين

خلف ذاك المنحنى

فسوف تلمسين سقف أفقي

وتبصرين من بعيد زورقي

وبضع نخلات يحرِّكن رؤوسهنَّ
كأن حلماً مفزعاً يمرُّ في خيالهن
كأنَّما تنفضُهُنّ
رؤية بيرقي
يعوم في بحيرة من عرقي !

* * *

عاريةٌ روحي ، وعار جسدي
كما ترين !
ساذج منبسط اليدين
لا أخجل أن أقول :
« يا زمني حتى الأسى شهوه »
وقدماي تتلويان في الهوه
لا أرهب أن أقول :

« يا زمني تآكلت حوافر الخيول »

والحوت في النهر يعرّي ظهره للشمس

والزراف يستريح في السهول

رائعٌ هذا الدجى الأخضر

رائعٌ صفاء الظلمة الجميل

رائعةٌ رائحة الضباب والشجر

رائحةُ الجبال والمطر

رائحةُ السماء والنجوم

رائحة الأرض إذا تنفست

وهي تعانق الغيوم

رائعة عيناك يا حبيبتي

أجنحة محلقاتٌ أبدا

يبرق فيهن الشعاع والندا

قوافل مسافرات أبدا

يبعدن لا يتركن من ورائهن

إلا ظلالا وصدى

رائعةٌ هموم عينيك الصغيرتين

حين تسألان من يكون ؟

ذلك الشاعر .. من يكون !

ذلك المغني الهمجي

ذلك المهرج الحزين

ذلك الذي يصبغه الجلال والذهول

كلما انحنى على جراحه

وراح يقرع الطبول

* * *

ها أناذا أقول ،

« لو ركضت عارياً فهذا قدري

ولو مشيت فوق جسر من خطاياي

فهذا قدري

صوتي صوت زمني

وجهي وجه قدري

فلا عجبْ

ولدت فوق عتبات الصمت والغضب

أنا تمرُّد التعب

أنا تجسد الذهول

ها أناذا أقول ...

١٩٦٥

## .. ذو السيف المكسور

لأن طائر الزمان دار حولها وجف

وصدأ الأسى القديم التف

حول شجر الحناء

لأن فارساً من الزجاج والصدف

مرّغ ظله على الأشياء

وجرّد العرش من الحرير والطلاء

لأن طاحونة ميت حزين الخيلاء

تدور في الهواء

جلسْتُ تحت هذه الأعمدة السوداء

ممزق الراية والرداء

* * *

خلا الممر ..

غير فارسي أنا

تلطم وجهه الرياح ، وهو لا يعي

أقعى ، وأقعيت أسىً

كأنما أسمع أمواتاً يغنُّون معي

تشبهني وجوه موتاي النحاسيه

في عذابها

وهي على أبوابها

تغوص في اضطرابها

تشبهني قوائم العرش الذي احترق !

والسلم الذي تدلّى

في الدجى ، حتى غرق

* * *

لا .. لن أغادر الممر

طبول موتاي تدوي في دمائي

لا مفر

مخالب الشمس تشق جسد الغابه

والشجر العجوز بوابه

مفتوحة على النهر

وفارسي الذي كسا الضباب مقلتيه

ما زال في يديه

بقية السيف الإلهي الذي انكسر

١٩٦٥

# البحار العجوز

الريح تنفخ القلاع ، والسفن
معلقات في البحار
والشمس ، والنجوم ، والأمطار
تثقب خيمة الزمن !

* * *

لو لفتت وجوهها إلى الوراء
السفن الكُثر التي يحملها الهواء

لأبصرت فوق مرايا الأفق الزرقاء
بحّارها العجوز ، تحت راية الميناء
قبعة شوهاء
وقدم غائصة في الماء
ومقلة تبحث عن وطن
وضحكة باردة صفراء
كأنها كفن !

* * *

زماننا ضاع . وضاعت البحار
وضاعت الأصداف في المحار
ولو كرهناه ، فهذا زمن الذين بعدنا
أتى كما أتوا على تراب مجدنا
وقد زرعناه جفاء ..

فليكن حصادنا جفا

لو أننا كُنَّا زرعناه صفاء ، لصفا

ويسعل العجوز سعلتين

ثم ينحني على غليونه الذي انطفا

يحشوه سخطاً وأسىً وأسفا

ويرمق الميناء في انكسار :

ـ كانت قلاعنا تسابق التيار

ليلةَ حرّكنا المجاذيف إلى ميناء

كانت رياح الشرق تلصق الغيوم

في الفضاء

كنا ندحرج المراسي الثقيلة الصَّماء

واضطرب النداء

يا أيها البحارة اهبطوا ..

كيف ظننتم ليلة كهذه تمضي سُدَى
موعدنا الفجر إذا السكارى استيقظوا غدا
وانكسرت على بلاط الصمت قهقهاتنا
وقفزت إلى الرؤوس قبّعاتنا
وجرّرنا المعاطف الشتوية السوداء
وانزلقت ظلالنا فوق شوارع المساء
لم تُغلقي مزلاج بابك القديم جيدا
إنا وجدناه مواربا
يمدُّ كفه على استحياء .
كان كشحاذي القرى .
أيتها المدينة الحسناء
قد لا يروقنا هدوؤك الجميل ..
فاسمحي لنا

بلميلة واحدة من الضوضاء

وأشعلي جميع حاناتك

لا لوم علينا أبداً

ألقت بنا الرائحة الوحشية الحمراء

والعرق الذي يسيل في اشتهاء

على الحوائط الملساء

كنت تخبئين كل هذه الروعة

عن عيوننا .. أين ؟

عليك لعنة السماء

يا فاكهة الشتاء

* * *

ويضحك العجوز من خلال دمعتين

وينفض الغليون نفضتين :

ـ وحين جعّـد المساء وجهه ..

وصفّـق النورس في حديقة النهار .

كنا نعلق المصابيح على نوافذ البحار

والأرض ما تزال في دوار

والذين قدموا من بعدنا

سيصبحون مثلنا

نحن الذين عبروا البحار

دونما متاع

حتى رسونا فجأة

على موانىء الضياع

آلهة البحار صارت جيفا

وآ أسفـــا

وآ أسفـــا

ويُبْحِرون مثلنا

ثم يعودون إذا ما اصفَّرت الأزهار

ولن يطول الانتظار

ويضرسون كلما قيل الوداع

ويعرفون غصة الشجن

وغربة الوطن

ونظرة الوداع

* * *

ما لم يغيروا الزمن

ما لم يمزقوا القلاع

١٩٦٤

# عن الشعر والكلمات الميتة !

- ١ -

إن الكلمات الميتة ، كالأشجار الميته

دون ظلال ..

تعبرنا حين تُقال ..

الكلمات الميته

كنباتات الشطآن الصخرية زلقه

تتسلقنا بيد الشفقه

بالضحكات المره ؟

بالحزن المر

بالإحساس العاري

من روح الشعر !

– ٣ –

عن موت الكلمه

قال الشاعر ، كيف تموت الكلمه ؟

جلد الأفعى الجبلية يلعقني ..

يتمسح بي ..

أحرقت بخوري للأفعى الجبليه

ما زالت تتمسَّح بي

إني والأفعى أوشك أن أنسى أني ..

أستغرق ليل نهـــار

ما شأني أن تسود النار

أن يسقط ظل فوق جدار

أو لسنا أحراراً ، فيما نختار

وأنا لا أنسى .. لا أقوى

قال الشاعر

والأفعى تحلم ثانية أن تلعقني

والدهليز الرطب يغني

يحشو نارجيلته ، ثم يظل يغني .

أنا فارسها ..

أنا سيدها الأول

أعطتني كل هدايا موسمها الأول .

ثم اخضرت أشجار الصيف

الفاكهة الخضراء ،

احمرّت بعد هبوط الصيف

لا بأس فقد قضينا بعض الوقت

ما جدوى أن نتسلق سور الصمت

أنا قد ثرثرت فعذرا ..

قال الشاعر ..

ألهتني تلك المرأة ..

أنستني .. فنسيت

كنا نتحدث عن كيف الكلمات تموت

- ٣ -

عينان على أرض الشارع

عينان تضيئان الشارع

عينان على قدمين

الرأس على أربع
المجد على قدمين
العار على أربع
قال الشاعر :
ـ كيف الكلمات تموت ..
وسار على أربع
زلقت في عينيه قدما طفل ضائع
لا تخجل يا عصري الرائع
فعلى أرض الشارع
أطفالك ..
ما زالت كف الطفل الضائع
تتمرغ في جسدِهِ
الأسمال الصفراء

تعرّت عن جسده
الطفل يحاول يخفي
عورته بيده !
الطفل يحاول أن يخفي عورة بلده
ذاك الطفل الرائع
يتلفت في خزي مهموم ..
يتعثر ، ثم يقوم
قال الشاعر ، كيف الكلمات تموت
وتذكر في زهو فاجع
وجه الأنثى الأولى
وازدادت قامته طولا
وتناسى وجه الطفل الشحاذ المرسوم
في أسفلت الشارع

- ٤ -

قلب الدنيا يتنفس من رئتي باريس
أحلى أشعاري
ما غنيت به باريس
« أوربا » تحملني في عينيها
أما باريس فتُرضعني من ثدييها
لا أكذبكم أني أهوى باريس

* * *

الشرطي النعسان يمط ذراعيه .
يتلصص خلف زجاج الحان
كلب الشرطي يحدّق
في لون الحيطان
وعلى باريس المخموره

ثلج ودخان

وأنا وفتاتي البوهيميه ..

ملتصقان ..

الفجر الأحمر يفرك عينيه

وأنا عريان

أتسكع كالصعلوك .

على قدمي باريس

لا أكذبكم ، قال الشاعر

في هذا الشرق ، الشاعر يصبح كالقديس

وتقولون الكلمات تموت

ماذا يبقى للناس إذن

لو ماتت كلمات الشعراء

« الشاعر زنجي من إفريقيا السوداء »

## - ٥ -

حيث موانىء الرياح والسحب
وحيث تهبط السماء عن كثب
وحيث يولد الجلال والغضب
وحيث يركض التعب
والحوت والزراف والذهب
حيث نوافذ الغيوم مشرعه
العرش كان مزرعه
والتاج والإكليل كان نصف قبّـعه
بالية ، بادية الصدا ، مبقّـعه
تخفي حريق الشمس الاستوائيه
عن وجنتي حسناء زنجيه
مليكة في الغاب منسيه

نخيلة كالقوس محنيه

تقول في مزارع الـكاكاو والقصب

كأنما تعاتب السحب الرماديه :

« ليس لأننا ارتضيناه

حين احتضناه

خلف مآقينا

لكن لأنه لما يزل فينا

يعيش في رجع سواقينا

في دمنا ، وفي أيادينا

في رقصنا ، وفي أغانينا

الحزن ما سال به صوت مغنّـينا »

ـ بعض الكلمات

قديماً قال الشاعر

مثل سحائب صيف
بعض الكلمات
لصوص تحت الليل مبطنة الأقدام
فاحذر أن يجري في كلماتك
ماء الزيف
كي لا تمشي فيها الأقدام

١٩٦٤

# رسالة الى الخرطوم

في الأرض حيران ضائع

دامٍ كثير المواجع

أرنو إليك.. وأعدو

كالطفل في كل شارع

وأرتمي فوق حزني

وفوق شوك المضاجع

وبيننا يا بلادي..

ستارة من مدامع

وصورة يا بلادي ..

قد لوّنتها المفاجع

وحائط يا بلادي ..

من فوهات المدافع

* * *

دمع وأفق ونار

والموت عريان جائع

والشعب أعزل ..

شعبي هذا الجريح المصارع

رأيته وهو صدر عارٍ

يسد الشوارع

يمشي .. وتمشي الضحايا

أمامه والطلائع

عمائم ووجوهٌ

كأنها الفجر ساطع

وأذرع كالصواري

كمئذنات الجوامع

تلتف حول المصانع

تمتد حول المزارع

تصون عزة شعب

طالت عليه الفجائع

بالأمس .. أمس وقلبي

بردان خلف الأضالع

رأيت شعبي يغني

للشمس أحلى المقاطع

والشمس في غسق الليل

في رؤوس الأصابع

رأيتكم يا حبيبي

رغم الفيافي الشواسع

سمعتكم يا حبيبي

ولم أزل بعد سامع

* * *

قالوا انتفضت ..

ومزقت عنك سود البراقع

قالوا تفجرت أفقا

من السيوف القواطع

قالوا وطهرت نعليك

من جلود الضفادع

قالوا وما زلت تبني

العلا : وتبني الروائع .

قالوا .. وتوجتُ رأسي

زهواً بما أنت صانع

وقلت ما كان شعبي

للبطش يوماً براكع

ولم يكن مجد شعبي

لمشتر أو لبائع

فالشعب كالأفق

في صدره تنام الزوابع

والشعب كالنيل ..

في عمقه انفعال المنابع

راح الطغاة المساكين

وانتهوا في المخادع

والشعب ما زال يمشي

ويسترد المواقع

٢٤/١٠/١٩٦٤

# ستانلي فيل

في استانلي فيل دخان
والشمس على الحيطان
والسيف التاريخي ، وقبعة القرصان
ودم الإنسان
ما زال دم الإنسان
الزنجي العريان
في عروة أوربا المومس نيشان

في شعر بغاياها
عطر ودهان

* * *

يا استانلي فيل
سقط الإنجيل
في أقدام الفاشيست
لصوص الغيل ..
سقطت رايات الجيل
ووقفت لهم في كل سبيل
تتلقين الطوفان
ولومومبا ما بين يديك قتيل
وتردّين أساطيل
وتهدين تماثيل

وتدوسين أباطيل

يا لؤلؤة « الكنغو » يا استانلي فيل

الظل ثقيل

الظل بطيء الخطوة ..

يستلقي تحت الجدران

الظل الأبيض ، والظل الأسود

ظل الخلجان المرجانية والوديان

وحبال السفن المشدودات

إلى الشطآن

وجنازير النَّخَّاس

وكرباج السجَّان

والجارية الحبشية ، والسلطان

وأباريق الخصيان

والغابة والصلبان

* * *

يا استانلي فيل
سأنزع عن كتفي السوط
وأمسح عن شفتي الدم
وسأحلم عبر زمان تشومبي .
عبر الجثة والمجرم
كمياه الكنغو بين الشطين
سأحلم
وكصياد مفقوء العينين
سأحلم
مثل امرأة طعنت في الثديين
سأحلم

مثل المطاط غليظ الكفين
سأحلم
أن اسم مدينة لومومبا
يوماً قد كان
استانلي فيل
ثم اشتعل البستان
وتلاشى اسم القرصان
ومشى في أحجار المنجم
عرق الكنغو الغضبان

١٩٦٤

# الغريب

من يا ترى تكون ؟

تسكب الدهشة في عيوني رؤيتك

تجذبني هيئتك المضطربه

عيونك الصغيرة المدبّبه

قامتك الطويلة المكتئبه

حذاؤك القديم الباهت اللون .

خطاك المتعبه

وربطة العنق بلا اعتناء
كأنها سنبلة خضراء
تلتف حول الرقبة

* * *

من يا ترى تكون ؟
شمس الاستواء
أحرقت جبينك النبيل
ألقت فوق وجنتيك
لونها الجميل
نضارة الكاكاو ، والزيتون ، والنخيل
أيها الغريب
ربما تعثرت على الصخور
ألف مرة حتى عييت

ربما مددْت كفيك

لبئر عقمت أثداؤه ، فما سُقيت

ربما سقطت في عاصفة من الثلوج

ربما مضيت تسأل البحار

النازحات ، والقفار

عن منار

عن خليج

ربما لم تلق يوما مضجعك

يا رائع الغربة

لا .. لا تقل ما أضيعك

إنا شبيهان .. فقف

قف لحظة

قلبي معك

* * *

الناس يولدون أغرابا
وحين تلتقي الغربة بالغربة
في طريق
يولد طفل الحب والمعرفه
أجمل منه ، لم تشاهد قط عينان
لأن أطفال الحياة حين يولدون
يخضوضرون لحظة ..
وينضجون ، ثم يسقطون
في قبضة العاصفه
لكن طفل المعرفه
يخضر أشجاراً على طول الطريق

# ثرثرة بورجوازية

- ١ -

الآلهة الغرقى في العطر
تقهقه في الردهات
الآلهة المتكبرة القسمات
الآلهة الأموات
تقلب أعينها الشهوانيه :
– مطر وضباب ثلجي

في الخارج ، والعربات

تتلوى في وحل الطرقات

من أين ترى يندسل البرد هنا ؟

فالقفازات حرير

والفرو يكاد يطير

والمانيكير ..

وتمط الدهشة أوجههن المصبوغه

ويسيل المانيكير

والريح تولول جائعة في الخارج

عبر السور

ورخام الحيطان المنقوشة بالذهب

المضفور

كنست عكازة أعمى كان يسير

فتوقف حيناً ، ثم تخبط في الظلمات

- ٢ -

والنسوة تحت عناقيد الضوء النعسَان
يغزلن حكاياهن
ويستنزفن التنهيدات :
- ما زالت كلبة « لولو »
ماضية في الصوم
لم تبرح غرفتها المسكينه
طول اليوم
لم تعرف طعم النوم
يا لجبال الأحزان ..
ويروح رماد السيجاره
يجري في طيات الفستان

وتعود الأنثى الثرثارة :

ـ ها قد سكرت تلك الجاره

تبدو في وقفتها كالأفعى المنهزمه

كبقايا عاشقة هرمه

قالوا إن الطاهي قد غرر بابنتها

واللوم على ابنتها

فالطاهي لم يصنع شيئاً ..

سرق التفاحة من قلب البستان

.. وضحكن ..

ومرّت سيدة القصر العالي

فتبادلن الغمزات ..

ومددن أصابعهن إلى أحد الأركان

ـ يا سيدتي

لو تسعفني الكلمات

وأحنى قامته ، وتكور كالثعبان

– الرقصة توشك أن تبدأ

– لم لا نتعانق ..

قد صدىء الماضي ، وغداً نصدأ

– ٣ –

وتقوست الأيدي

نبت الشجر القاني في أنهار الغابات

واعشوشبت الرغبات

وتمزقت الضحكات

فوق الضحكات

وكان الحزن الجاثم

فوق سماء العالم مات

- ٤ -

يا ديدان التاريخ الأسود

يا قطط الملك المخلوع

ضموا أطراف معاطفكم

فالفصل صقيع

والريح على الشرفات

الريح على العتبات

نسجت بعض الأكفان

لتنابلة السلطان

وعيون المحظيّات

# الخطاة في المدينة

سوف يجيء يوم

دائماً سوف يجيء يوم

يَنْحَسِرُ الضوءَ عن اللعبة

وتشعر الصالة بالغربه

* * *

المتفرجون والأبطال

الشعراء والملوك والأطفال

الفقراء حاملوا المصاحف
الصفراء والنعال
القسس الخرس
ذو اللحى المدلاة ..
ذو المسابح الطوال
الصبية المشردون ..
حارسو المدينة الكبرى من الزوال
كل الذين زلقت أقدامهم يوماً
على سلالم الرغبة
كل الذين عبروا ابهاءها
الدافئة ، الرطبة
سيهبط الستار فوقهم ولن يعود
العنكبوت سيد الوجود

ليس غير العنكبوت والنسيج

حين يهبط الستار

وتخفت الأضواء والألوان والأريج

وينهض الشيء الذي لم نره ..

ولن نراه

يجيء لا ندرك من أين

تجيئنا خطاه

حيث يدوي صوته

في ردهة الزمان :

– يا هؤلاء انتهت اللعبه

وآن للصالة أن تشعر بالغربه

* * *

سوف يجيء يوم
دائماً سوف يجيء يوم
فلننتظر
لم يلتق العقرب بالعقرب
واللوحة الجوفاء في الجدار
والطائر المشدود في المشجب
يرتل الأشعار
لننتظر ..
نحن الذين لم تجيء أيامنا بعد
الدماء في جلودنا الدميمه
جلودنا تصبغها الجريمه
نحن الذين نرفع النيران للشمس
ونعدو في مسالك الهزيمه

الريح ذات الوهج الشاحب

ترتاح على سقوفنا القديمه

السادة القضاة واللصوص

السادة العبيد والذئاب

يلغطون في الساحة :

– لو أعرف ماذا يلغطون –

يصعدون الدرج القديم

– لو أعرف ماذا يصنعون –

يقرعون الباب

يدخلون

– لا بأس .. ادخلوا

ادخلوا ..

واعجبا

رأيتكم أين ؟

متى رأيتكم ؟

نفس الرؤى المضحكة الكئيبه

الأوجه الممطوطة الجوفاء

النظرات الزئبق العجيبه

حينئذ بكيت ..

كنتم تلغطون ..

غنت البومة .. قلبت عيونها الغريبه

التفَّت الأفعى على الحرباء

قفَّ شعر الهرة السوداء

التقم التمساح ظهر الحوت

حينئذ قلت لكم ..

ـ لا تحرقوا التابوت

موتي هي الغابة
فاسكنوا بيوتكم
عالمنا بحاجة إلى السكون
لحظة من السكون

* * *

السادة القضاة واللصوص
السادة العبيد والذئاب
في الساحة يلغطون
الناس ، والماشية العجفاء ، والوباء
الجامع الأبيض ، والكنيسة البيضاء
لا مكان بعد للحنان
لا مكان بعد للجلال

امتدَّت الحبال

هكذا إذن

مددتم الحبال بين الأرض والسماء

هكذا إذن

يحترق الزمن

يا أيها المسكين يا طفلي

يا أطفال ..

لست أستطيع

أن أرى رؤوسكم ترقص في الحبال

لست أستطيع

في فمي ، في قدمي

صوتي يضيع ..

ضاعت الحكمة في الضجة ..

ضاعت في القطيع
إننا نضيع
إننا نضيع

١٩٦٤

# الحلم والعجز !

«.. ثم اشتعلت ثورة ٢١ أكتوبر »

---

في الليل طائر غريب .. طائر حزين
ينفض ريشه الدميم في حديقتي
الليل في حديقتي
ملوّن العيون !

* * *

مدينتي أمس مساء

تحت سورك الرخامي اتّـكأت
كنت كئيباً موجعاً ، حين أتيت
وضعت كالنبي ، طيبتي بجانبي
وسَّـدت قلبي حجرا ..
ثم اضطجعت
وكالذي يحلم ..
أبصرت على الأفق سنابك الخيول
تخوض في وجهك يا مدينتي
في دمك النبيل
وكلما هممت يا مدينتي
أن تقفي
طوحك الهزال والنحول
حتى صحوت صارخاً :

وجهك يا مدينتي تحت سنابك الخيول

ثم عدوت باكياً من شارع لشارع

وكلما أبصرني الناس أهيم

في الشوارع

تكسّر الزجاج في عيونهم

كأنهم لا يبصرون

تساقط التراب من حلوقهم

كأنهم لا ينطقون

الناس يا مدينتي كأنهم منومون

الناس أصبحوا عجائبا

تضحك للمأساة ..

أصبحوا . كأنهم لا يقدرون !

* * *

ما أجمل المساء في عينيك يا مدينتي
منسكباً على حوائط البيوت
على كنائس النصارى الطيبين
على مآذن المساجد القديمه
على قبور الفقراء الفوضويين
على حقول القصب الكريمه
على الأزقة المعتمة التي
يولد فيها الشعر والجمال والجريمه
ما أجمل المساء
غير أنه هذا المساء
كطائر حزين
ينفض ريشه الدميم في حديقتي

٦/٩/١٩٦٤

# النافذة

الشمس في شرفتها واقفه
تفك شعرها الأنيق
تنفضه ضفائراً على الطريق
ثم تغني ، وتدير ظهرها إلى الحريق
الشمس في غرفتها
والجوع في الخارج والضباب
يحدّقان كاللصوص من ثقوب الباب

ويمضغان شجر العذاب

* * *

ثم استدارت مرتين

الشمس في غرفتها استدارت مرتين

مالت بعنقها الجميل

الوثني المستطيل

والشعر الماسي في قمته قنديل

يميل حيثما تميل

عادة تنزلق القطيفة الحمراء

عن كتفين مثل هاتين الرخامتين

ينزلق الحرير خطوتين

ينزلق الحرير للركب

يشحب لونه من التعب

ويقشعر الصمت والصخب
وتنبت الأعشاب في السحب

* * *

ثم تطلعت إلى المرآه
لست وحدك التي تحدقين الآن
يا شمس في المرآه
فالضباب والجوع يحدقان
يا شمس في المرآه
تبتسمان في انبهار وعجب
إلى عناقيد البنفسج الذي انسكب
فزوّق المرآة بالألوان
ثم انعكسا
وصار قبّة مشعة

وصار ليلاً مشمسا

* * *

يا شمسها

يا سيدي الجسد

يأكلني الحسد

لا تغلق النافذة انتظر

إني على نافذة الرصيف أنتظر

أسيل أحزاناً ولا أحد

أرنو .. وأرتعد

قلبي يرتعد

والليل يرتعد

والنور يرتعد

والطائران الجائعان
يحلقان فوق وجهي ، وينقّـران
نافذة الأبد

١٩٦٤

## دون كيشوت الثاني

دون كيشوت الثاني

صدئت عيناك ..

وغطّت أعشاب الأرض السوداء خطاك

فلتدفن رأسك في الطين

يا دون كيشوت المسكين

* * *

الحلبة فارغة العينين

بلا كفّين

بلا جمهور يزرع ملء جوانبها الضوضاء

وتجيء تجرجر سيفك في خيلاء

تتلاعب بالسيف الخشبيّ وبالحربه

لا تخجل من هذا الصمت الضافي فوق الحلبه

« سيفي مثلي ظمآن

وحصاني أيُّ حصان

وأنا الموت الأحمر

أنا جلاد الفرسان

* * *

يا دون كيشوت زمانك

إنك تضحكنا ..

تبكينا ..

يا دون كيشوت الثاني إنك لعبه .

إنك لعبه !

* * *

وثن ذهبي كان

سقطت عنه الألوان

فتعرى ، والإنسان

ماذا يبقى منه ..

لو مات بداخله الإنسان !

# رسالة الى جميلة

لن تسمع الجدران يا جميله
فالسجن مثل جبهة السجان
من حجر صخر ، ومن صوان
وما الذي تصنع راحتان
نحيلتان : مستطيلتان
لامرأة صغيرة .. نحيله

* * *

السجن لا يسمع يا جميله

إلا انقضاض المعاول

إلا دوي الزلازل

إلا انفجار الزلازل

السجن سكران ، قاتل

وأنت لا فأس ، ولا معولُ

لا خنجر ماض ، ولا منجل

أنت هنا حمامة تحجل

في قدميها السلاسل

* * *

الساعة الآن تدق الغداه

تدق باب الليلة التاليه

الساعة الواحدة .. الثانيه

ثلاث دقات بقلب الحياه

ثلاث خطوات تشد الظلال

وراءها في ظلمة السجن

أي حياة داخل السجن

هل سألت عيناك هذا السؤال

وأنت بين السوط والقيد

فابتلّتا بأدمع الحقد

أم يا ترى لمحت بين الحبال

طلائع الثوار حول الجبال

وهي تسد الأفق بالأيدي

فاهتز في قلبك حب جميل

مشى حزيناً فوق هذي الرمال

حب فتى جزائري نبيل

ما زال حيًّا في صفوف النضال

لعله الآن ساهِر

يرقب نور الجزائر

لعله الساعة يا جميله

يصغي لتنهيدتك الطويله

حين تدق الأذرع الثقيله

ثلاث دقات فجائيه

وزحف باب ثقيل

أشبه بالرعد

أشبه بالطوفان يا جميله

والليلة .. الليلة صحو جميل

يلوح عن بُعد

من كوة السجن الضبابيّه

لا بُد أن الصحو هذا الجميل

يلف حتى حائط السجن

لا بد أنه يلف الحقول

وشجر الزيتون ملء السهول

وسعف النخل الطويل .. الطويل

وورق التفاح والورد

لا بد أنه يضيء السيل

لثورة تزحف عن بعد

* * *

ما أجمل الحياة يا جميله

لولا جنون الطغاه

وقهقهات السجون

لأن ظالماً يحب الحياه

ويكره الآخرين

لأن سيداً يحب العبيد

ويكره الثائرين

لأن سجانك يا جميله

أيتها النار الجزائريه

كل جنود الإمبراطوريه

* * *

لا تطرقي رأسك يا جميله

لا تخفضي جبهتك النبيله

خوف جنود الامبراطوريه

قفي بوجه العذاب

شامخةً بالعذاب

لا تدعي نقمتهم تقتلك

لا تدعي رحمتهم تغسلك

إنك قبر الإمبراطوريه

إنك تسقين بآلامك

أشعة الشمس الجزائريه

إنك تمشين بأقدامك

فوق جلال الامبراطوريه

فوق عروش قَتَله

ما زال في أعينهم جوع الملوك

ما زال في دمائهم صراخ القتله

ما زال فيهم رعشة القراصنه

تمتد مليون سنه

ما زال صوت تجار الرقيق

ما زال صوت المقصله

يبعث فيهم الحنين والوله

* * *

أأضرب الأمثال يا جميله

أأملأ العروق بالثارات

أأملأ الوجوه بالوجوم !

أأملأ السماء بالغيوم

إذن هبيني ساعة من حياه

حياة روح داخل السجن

حياتك الساعة يا جميله

في ليل زنزانتك الطويله

حين تدور ساعة الحزن

ثلاث دورات فجائيه

وحين لا ينفذ للأذن

إلا خطى الجند الحديديه
وهي تجوب ساحة السجن
في رعشة شبه جنونيه
إذن .. هبيني قوة الوجود
قوة إنسانية البشر
قوة ألف ثائر في القيود
يفجرون طاقة القدر
قوة شعبك العظيم
غضبان فرحان ثائر
قوة روحك المشع كالنجوم
فوق سماء الجزائر

١٩٥٧

## مقتل السلطان تاج الدين

[ بطل شعبي قاد نضال قبائل المساليت المشهورة في غرب السودان ، ضد القوات الفرنسية الغازية .. وسقط شهيداً في معركة النصر عام ١٩١٠ ] .

---

– ١ –

فوق الأفق الغربي سحاب أحمر لم يمطر
والشمس هنالك مسجونه
تتنزّى شوقاً منذ سنين

والريح تدور كطاحونه

حول خيامك يا تاج الدين

* * *

يا فارس

سرج جوادك ليس يلامس ظهر الأرض

وحسامك مثل البيرق يخترق الظلمات

يا فارس

مثل الصقر إذا ما انقض

بيتك عالي الشرفات

نارك لا تخبو .. لا تسود

وجارك موفور العرض

يا فارس ..

حتى مات !

## - ٢ -

« كان السلطان يقود طلائعنا

نحو الكفار

وكان هنالك بحر الدين

وأشار إلينا تاج الدين

وأطل بعينيه كالحالم ..

في قلب السهل الممتد

ثم تنهد :

« الحرب الملعونه

« يا ويل الحرب الملعونه

« أكلت حتى الشوك المسودّ

لم تُبق جداراً لم ينهدّ

« ومضى السلطان يقول لنا

ولبحر الدين :

ـ هذا زمن الشدة يا إخواني

هذا زمن الأحزان

سيموت كثير منا

وستشهد هذي الوديان

حزناً لم تشهده من قبل ولا من بعد

* * *

وارتاح بكلتا كفيه فوق الحربه

ورنا في استغراق

نحو وجوه الفرسان

كان الجو ثقيلاً ، مسقوفاً بالرهبه

وبحار من عرق تجري فوق الأذقان

وسيوفهم المسلولة تأكلها الرغبه

والخيل سنابكها تتوقد كالنيران

ومضى السلطان يقول لنا

ولبحر الدين :

ـ هذا زمن الشدة يا إخواني

فسيوف الفرسان المقبوضة بالأيدي

تغدو حطباً ما لم نقبضها بالإيمان

والسيف القاطع في كف الفارس

كالفارس يحلم بلقاء الفرسان

* * *

وترجل تاج الدين

جبلٌ يترجل مزهوّاً من فوق جبلْ

وترجل بحر الدين

وحواليه عشرة آلاف رجل

سجدوا فوق رمال « دروتي » لله معه

وأطلَّتْ كل عيون الطير المندفعه

في هجرتها من أقصى الغرب لتاج الدين

فعلى أفق الوادي الغائم

تمتد رؤوس وعمائم

وبيارق يشبهن حمائم

... ثم ارْتَجَفَتْ أفواج الطير

وراء السحب المرتفعه

– ٣ –

ـ يا تاج الدين

الأعداء أمامك .. فارجع

لهب .. وقذائف حمر ..

وخوذات تلمع

والحربة مهما طالت

لن تهزم مدفع

لن تهزمهم يا تاج الدين

بسلاح كزمانك مسكين

وكعاصفة سوداء تلفت تاج الدين

في سخط الجبارين تلفت تاج الدين

وأطل على وجه القائل

كانت شفتاه رعوداً وزلازل

كانت كلمات السلطان

سلاسل

– يا ويلك لو لم تك ضيفي يا عبدالله

ما أقبح ما حركت به شفتيك

ما أبشع ما منيت به عينيك

عار ما قلت ..

وعار أن نستمع إليك

فاثن زمام جوادك

وخذ الدرب الآخر

يا بحر الدين أعده للدرب الآخر

- ٤ -

وتدفّقت الرايات

وغطى الأفق صهيل الخيل

و« دروتي » العطشى ما زالت

تحلم بمجيء السيل

وتحدر من خلف الوديان المحجوبه

علم قانٍ .. ومدافع سبعٍ منصوبه

وحرائق وضجيج شياطين

ها هم قدموا يا تاج الدين
فانشر دقات طبولك ملء الغاب
حاربهم بالظفر ، وبالناب
طوبى للفارس
إن الحرب اليوم شرف
طوبى للفارس
إن الموت اليوم شرف
داسوا عزة أرضك
هتكوا حرمة عِرضك
عاثوا ملء بلادك غازين
غرباء الأوجه سفّاكين
فاضرب .. اضرب .. يا تاج الدين
اضرب .. اضرب .. اضرب ..

- ٥ -

– يا مولاي السلطان

سلام الله عليك

قتلى أعداؤك مطروحون

لدى قدميك

أسرى مغلولون وخُدَّام بين يديك

أكلت نيران مدافعهم نيرانُك أنت

بالسيف وبالحربه

وبإيمانك قاتلت

يا فارس تسحق أعداءك

أني أقبلت

حين استبقوا نحوك

باسم بلادك ناديت

« لن يحجبني عن حبك شيء »

« إنك ملء دماي وعيني »

« يا دار مساليت أنا حيّ »

- ٦ -

وهجمت فأجفل قائدهم

وانشق ستار

كان ستار رصاص

كان ستاراً من نار

نصبوه في وجهك صفين

كي لا ترى قائدهم بالعين

لكنك يا فارس أقدمت

فوق المدفع بالسيف مشيت

ولحقت بقائدهم فانهار

القائد ذو الجبروت انهار

ذو المركبة النارية والخوذات انهار

أحنى رأساً ماتت في عينيه الرغبات

مدّ يديه يبكي في حشرجة الأموات

عرّى صدراً دموياً أعشب فيه العار

هذا الصدر العاري المنهار

من قبل لقائك زانته نياشين الأكبار

لكنك يا فارس آليت

أن لا تهب الكافر صفحك

أن تسقي من دمه رمحك

أن تصلبهم عبر الفلوات

أن تجعل موتاهم مثلاً

لزمان عبر زمانك آت

- ٧ -

تحت الراية غرقت رأس القائد في الدم

أرخى عينيه في رعب ..

ثم استسلم

سلمت كفك يا تاج الدين

فاقض على أحلام الباقين

صاروا بعد القائد

قطعان غنم

طاردهم بجنودك

عبر الفلوات

عبر « دروتي » عبر الأكمات

قتلاك من الأعداء مئات

والأسرى قد ملأوا الساحات

والقائد ملقى في الطرقات

سلمت كفك يا تاج الدين

- ٨ -

لكن الشمس المسجونه

والريح الحبلى الملعونه

ما زالت مثل الطاحونه

تجري .. تجري حول خيامك

تجري من خلفط وأمامك

ـ يا تاج الدين

ـ يا تاج الدين

ما زال عداتك مختبئين

أيديهم راعشة .. ورصاص بنادقهم

يتزاحم في بطء نحو جبينك

يا فارس خذ حذرك

من طعنات طعينك

يا فارس خذ حذرك

يا فارس خذ حذرك

ليتك لا تتحرك

فبنادقهم لا زالت راكضة إثرك

أترى تثقب رأسك

أترى تثقب صدرك

يا فارس خذ حذرك

ليتك لا تتحرك

.. وتحرك تاج الدين

كانت عيناه حينئذ

تقفان على جرحاه

والراية في عينيه

قد لطخها الدم

وأتت ريح خريف

تتراكض خلف خطاه

وتجَهّم وجه « دروتي » بالسحب وأظلم

وأتت بضع رصاصات

خجلات مضطربات

أقبلن من الظلمات

فرأينا تاج الدين

يبدو وكأنْ قد مات

يا تاج الدين سلمتْ

مزق أستار الصمت

عد من وديان الموت

أو تذهب حتى أنت

وتساقط تاج الدين

لم يقو الفارس أن يرجع

لبكاء الشعب عليه

فرصاصات خمس صدئات

تسكن في عينيه

لكن أحداً لم ير رايته

تسقط من كفيه

مارس ١٩٦٤

# الى بول روبسون المغني

كانوا يُخْفون خناجرهم في أوجههم حين تغني
وتشيب سوالفهم حقدا
وتشيح نيويورك مهينه
فغناؤك يجلدها
يستعبدها
ويُجرّدها
من زينتها ، فتلوح بلا زينه

جثث الأحياء ، وأقبية الأموات
ورؤوس المهزومين الغضبى المحزونه
تتدحرج في الطرقات
تتسلق أشجار الغابات
تسترجع حلم الأرض المطعونه
أرض المأساة
ويحلّق فوق الليل الثلجي الممتد
ليل نيويورك .. غناؤك
يا شاهد فجر الشعب الاسود
يا أروع من غنى للعالم ، أحزان العالم
يا شاعر أمريكا الفقراء
ومغنّيها
الزنجي الضائع منا ، تحت تراب مبانيها

بحار السفن الغرقى ، حول موانيها
« بلياتشو » المقهى ذو الوجه المدهون
اللون القاتم ، في لوحات الرسامين
أحجار مناجمها
ودخان مواسمها
لحم الإنسان الساخن .. والسكين

* * *

ـ ماذا تعني بالنسبة لي[1]
ـ أنا أعرف ماذا تعني أمريكا بالنسبة لك
الخنجر في قلبك
في روحك .. في الداخل

---

(١) مطلع أغنية شهيرة لبول روبسون .

وتُغَنِّي للقاتل
تستغفر من قتلك
ماذا تعني بالنسبة لك
أن ترفع كأس سقوطك مزهوّاً
في صحة جلاديك
أن تبتر ثديي أمك ..
أن تلهو بعظام أبيك
أن تحيا في ماضيك

* * *

يا بول روبسون
مات الطفل الزنجي ..
وماتت جدته العمياء
إلا كلمات ..

قالتها في أذنيه ذات مساء

يا أبنائي غنوا للشدّه

غنوا للشدّه

لا يخلع إنسان منكم جلده

٤/ ١٢/ ١٩٦٤

# عاشق من افريقيا

# عاشق من افريقيا

صناعتي الكلام

سيفي قلمي

وكل ثروتي شعور ونغمْ

ولست واحداً من أنبياء العصر

لست من فرسانه الذين يحملون رايات النضال

أو يخطّـون مصائر الأمم

لكن لي هوى يكبر كلما أكبر

لم أمنحه مرة لملك متوج
ولم أمرّغ وجنتيه فوق أعتاب صنمْ
صناعتي الكلام
قد أجيد تارة .. وقد أخطىء تارة
لكنني منذ مشت عواصف الحنين في دمي
ومنذ أزهرت براعم الكلام في فمي
ومنذ ما انطلقتُ ضائعاً مشرداً
أطوي ليالي غربتي ..
وأمتطي خيولَ سأمي
كنتِ عذابي .. أنتِ يا أفريقيا
وكنت غربتي التي أعيشها
وشئت أن أعيشها

* * *

وحينما غنّيتُ .. غنّيتُ لعينيك
وَمَسَّتْ شفتي في وله رموشها
حينئذ رأيتُ فيهما توهُّج الألم
رأيت فيهما العذاب والشموخ والشممْ
صناعتي الكلام
ربما أثقل صوتي الضعفُ والرهبةُ أحيانا
فعاد لي صداه . باكياً حزينَ المقلتينْ
حتى ليبكيني صدى صوتي ...
فأنحني أمسح فوقِ شعره .. وأضغط اليدينْ
وأشرب الدموعَ من عينيه الطفلتين
ويثقل الكلامُ في فمي
أحسُّ أحياناً كأنما كلامي في فمي
مثل جذوع الشجر القديم

* * *

ضاربات تحت أطباق الثرى
مثل معادنِ البحار الغائصاتِ أبداً
مثل كنوز الأرض
ربما نُبْصرها بالفكر ..
قبلما نلمسها باليد
أو نحسّها بالعين ..
صناعتي الكلام
لا وسامَ .. لا وشاحَ .. لا ذهبْ
لا راية تظلني .. ولا لقبْ
فلتغفري لي أنني أجيءُ في نهار عيدك الكبير
أجيءُ والشمس على صدرِكِ ماسة زرقاءُ تأتلقْ
صدرُك يا رائعةَ الجراح قبّةُ الأفق
وعرشك الرياح ، والجبال ، والسحب

أجيءُ لاهثَ الأنفاس ، مصلوبَ العنقْ
روحي سحابة ، وجسدي شفقْ

* * *

لا شيء في يدي
لا شيء في فمي
إلا بقايا مقطعٍ قصيرْ
أعزفه في خجل على الورقْ ..

# صوت افريقيا

صوتك هذا ؟

إنني أكاد أن ألمسَهُ

أكاد أن أنشقَ في غُصونهِ

رائحة الأرض ، وعرقَ الجبال

أكاد أن أسمع في خفوقه

تدفق « الكنغو » العظيم بالمياه

صوتك يا افريقيا ..

هذا الذي يهزني هزّ الأعاصير صداهْ

أحبه .. وهو انفعال ..

ودم يغلي .. وثورة مطبقة الشفاه

أحبه .. وهو بريق أعين

تشنجت فيها إرادة الحياه

أحبه .. وهو خطى عاريةً

تحفر في الأرض مقابرَ الغزاه

أحبه لأنه صوتي أنا ..

صوتك يا افريقيا ..

صوت الإله

# ما زلت اغني

لم تمتْ فيَّ أغانيَّ ، فما زلتُ أغنّـي
لك يا أرضَ انفعالاتي ، وحزني
للملايين التي تنقشُ في الصخر ، وتبني
والتي ما فتئتْ تبدع فني
والتي تعرف أني ..
أنا منها .. وهي مني ..
لم تمت فيَّ أغانيَّ

وفي صدركِ كلمهْ

لم تقلها شفتاي

وعلى وجهك غيْمه

لم تمزّقها يداي

أنت يا من تهبينَ الشمسَ

في كل صباح وعشيهْ

من دماي

لتنيري خطوات البشريه

بخطايْ

* * *

أنا في حبّك مليون ضحيّه

تَتهاوى تحت أقدام جلالك

فاجعليني ، في نضالك

لأكُنْ قطرةَ دمْ

شَهقةَ فمْ

بسمة مجلود هنالك

حيث تمشين مهيبهْ

في جراحكْ

في كفاحكْ

أنتِ يا رافعةَ النار إلى أعلى القمم

# عصر الميلاد

---

وتطلّعتُ إلى عينيك ، والشعرُ سلاحي
عاريَ الجبهة ، كالفجر مغطى بجراحي
أتلقَّـى عنكِ أعداءك ، أعداء كفاحي
الذين اغتصبوا عرضك مرّه
حملوا عاركِ زهره
عبثتْ أقدامهم في حرماتك
رقصوا فوق رفاتك

شوهوا تاريخك العالي ، المهيبَ الكبرياء
أغرقوه بالدماء ..
سرقوا أثمنَ ما يحمله صدرُك يا أم بلادي
سرقوا تاجكِ ، ثم اضطهدوكِ
سرقوا سيفك ، ثم اغتصبوك
سرقوا مجدك ، ثم احتقروكِ
إنما لم يقتلوك

* * *

فلقد كنت الملايين التي ليست تموت
الملايين التي يولد في أحشائها
اليوم .. وغدْ ..
والتي قوّتها ليست تُحدْ
والتي تولد في كل صباح ، من جديد
في ملايين المهودْ

# لومومبا والشمس والقتلة

في قلبي سيف يقطر بالدم
يتصبّبُ حقداً وضغينهْ
يرجفُ غضباً يا لومومبا
يا سيفَ بلادي الذهبيّ المدفونْ
المصلتَ فوق رقاب الجلادين
لن أنتزعكَ من أعماقي
ابقَ مكانكْ

ابقَ مكانك

لن تصدأ في تربة روحي

فتوهَّج في نار جروحي

أصبغْ أعلامَ الثورة ، يا سيف بلادي

أنشر أعلامَ الحرية ، فوق بلادي

كن شمساً ، فلقد ماتت هاتيك الشمس

ما عادت تسطع ملءَ عيونِ المضطهدينْ

إنّا أشعلناها يوماً بمآقينا

ورفعناها فوقَ التاريخ بأيدينا

وغسلنا جبهتها بدماءِ مآسينا

ثم انطفأتْ يا لومومبا

لما أضحت شمساً أخرى

تحرقِ أيدي المضطهدين

يا لومومبا ..

في قلبيَ أنت

البطلُ الأسود ذو القدمين العاريتين

الراكضتين على نهر الكونغو

كانت تركض خلفهما أشجارُ الغابات

كانت تتهدّج لهما أنفاسُ الظلمات

كانت أمواج الكنغو ...

توغل في الركض

كان الفارسُ ذو الرهبه

ذو الصوت الفضّي

عيناه عالقتانِ على نجْمهْ

شفتاه مطبقتان على كلمهْ

كانت أصوات المضطهَدين

تجلجلُ في روح الأرض

يا لومومبا ...

ان الخونة لا ينتصرون

لا يصبح بطلاً من خان قضية شعبه

مَن أسقط رايته يوم نضاله

مَن سدّ عليه طريق الحريه

مَن قبّل أقدام القتله

أبداً ... أبداً يا لومومبا

لن يصبح « موبوتو » بطلا

حتى لو وضع الأغلال بكفيك

حتى لو صلب الثورة في شفتيك

حتى لو أصبحت سجينه

حتى لو أصبحت طعينه

فستبقى الأحقاد دفينه

تتطلّعُ في عينيْ شعبك ...

في عينيك ...

في سخر لعيون القتلهْ

# اغنية الى السودان

منذ زمان بعيد كانت طبول بعيده ...
مشدودة ، فوق أيد قوية مشدوده
تؤْرِّق الوحشَ في الغاب
والطيورَ الشريده ...
وكلّ ما تلدُ الأرض من حياة جديده
كانت تبث أساها
وترتمي مكدوده

## في ظلمةِ القارّة البكر

القارة المسدوده

أرض الكهانات

أرض الحقائق المفقوده

أرض الجنائز ، والشمس ، والليالي المشيده

ومرَّ يوم ذليل ، مكفّـن بالعبوده

تساقطت فيه أرضي ...

مغلولة ، مجلوده ...

تحت سياط الغزاة ، المعقودة ، المفروده

واحتقن الدمُ في روحها ...

وصبّ جموده

واعتنق النعش واللحد

في خطاها الوئيده

لولا بقية ذكرى قديمة محشوده

عن سيّـد ، وجوار ، واذرع ممدوده

وعن ضحايا عرايا

خلف الحدود البعيده

وعن بلاد تضمّ الطغاة ، وهي سعيده

وعن شعوب كسالى ...

وعن شعوب بليده

تعيش في كل يوم ...

في أرضها مطروده

ومثلما يسحق المارد السجين قيوده ..

ومثلما تنفض أغلالها الرياح الشديده

تحرّكت ذات يوم
افريقيا الموءوده
وقام في قلبها السودان يعلن عيده
باسم جميع الشعوب
المسجونة المصفوده .

# نكرودما

كلماتي أشواقُ سجين عاشَ
وثارُ سجين ماتْ
كلماتي أجسادُ ضحايا
مصلوبين على الطرقات
كلماتي أحشاء حبلى
تتلوّى تحت الطعنات
كلماتي أصواتُ حياةٍ

لا تعرف موتَ الكلمات

فيها من ثورة افريقيا

شعب زنجي القْسمات

نفض الظلمةَ عن عينيه

وتوهج ملء الظلمات

فاذا الشمسُ تدور ...

وتلدُ الشمسَ ...

وتلدُ الحرياتْ

وإذا وجهُـك يا نكروما

يشرق في نور الثورات

نكروما ، يا صورة غانا

والكنغو الحر الموجات

وجهك يوقظ فيّ الماضي ...
يوقظ فيّ الاحساسات

* * *

يحمل لي رائحةَ بلادي
عبر ملايين الغاباتْ
فأراها من خلف دموعي
وأنا مشبوبُ الصبوات

أرضاً ، وجبالاً ، وسحابا
وينابيع ، وشلالات
وجباهاً يتحدّر منها
عرق فضيّ القطرات
وعرايا في كل طريق

يمشون عرايا النظرات

نكروما ...

وأراك فأصغي لصدى ماض ...

وصدى آتْ

يلتقيان على ساحات

ويرفان على ساحاتْ

أتراها افريقيا الكبرى

تتهادى تحت الراياتْ ...

# الى بن بيللا ورفاقه

سبع سنين ، وأياديكم تطرق باب التاريخ

تبني هرماً للحريه

تبنيه بعظام الشهداءْ

بارادة مليون ضحيه

تنقش في الصخر حكايةَ جيل من أمجاد

جيل يصحو ، وصباح البعث على ميعاد

جيل يحمل في جنبيه عبق الأجداد

جيل لم يرهبه عَصْرُ التقتيل والاستشهاد
عصر النقمة ... عصر الثورات
عصر الأحزان الغربيَّهْ

سبع سنين ، وبلاد جميلة رافعة الرايات
سبع سنين ، والنار تضيء خطى الأحرار
وتمزِّق ليل البشريه
إني أحني رأسيَ كبراً
إني أخفضُه في إكبار
فأنا افريقي
وجزائر بن بيللا افريقيه

يا بن بيللا

في سجنك أكبر أنتَ من السجّانْ
أكبر من شعري
يا شعري هل تسمع دمدمةَ الطوفان
هل تسمع صرخةَ بن بيللا
صرخةَ حُرٍّ خلف القضبان
سجنوه ... وضعوا الأغلال بكفيه
عصبوا عينيه خمس سنين
كي تنطفيء شموس الثوره

يا بن بيللا ...
لكنّ العار ، وخيبة سبع سنين
العار ( لديجول ) وباريس
العار لاعداء الثوره

فالثورة ، ما زالت تكسو
قمة أوراس ، وتسقيها
والثورة ما زالت تمشي
فوق جماجم جلاّديها

يا بن بيللا ...
ما أجمل أن يصحو إنسان
فإذا التاريخُ بلا قضبانْ
وإذا الثورةُ في كل مكان
تركز أعلام الحريه
في أرضي ... في افريقيه

# من أجل عيون الحرية

أكتب يا جبّار الأحزان

أكتب باسم جلال الإنسان

باسم وجوه خلف القضبان ...

وجوه لم تعرفها بعد

باسم القتلى في كل مكان

المصلوبين على الجدران

المنسيّين بلا أكفان

بعيداً عن ضوضاء المجد
المشنوقين .. المنفيين
المهزومين ... المقهورين
من أجل عيون الحريه

من أجلك يا افريقيه
يا ذات الشمس الزنجيَّـه
يا أرض الأيام الحيّـه
يا أغنية في شفتيَّـه
أغنية ساذجة الألحان
أسمعها ، فيضج بروحي
قلق الإنسان المجروح
ويغيم على عينيّ دخان

أكتب يا جبّار الأحزان
أكتب فوق صدور الأزمان
أكتب فوق لهيب النيران
أكتب فوق بريق التيجان
أكتب فوق خيوط الأكفان
أكتب ... أكتب لا تتردد
أكتب فالظلمة تتوقد
أكتب فالكلمة تتجسَّد

وعلى الأفق جواد أسود
يتوهج نوراً حيث سرى
وخطى عارية ليس تُحَدّ
وأياد تمتد ... وتمتد

تحفر للمستعمر قبرا

تبني فوق الظلمة جسرا

تعبره افريقيا الكبرى

أكتب .. فعلى أرضكِ ما زال

الرعب الأبيض ذو الأغلال

يغسل بالدم قلبَ الأطفال

وينكِّس أعناقَ الأجيال

فكأنّ دمَ الإنسان تراب

وتجاريبَ التاريخ سراب

والحرية أشباح ضباب

وكأن الأبيضَ نصف إله

وكأن الأسود نصفُ بشر

قدر لفظتـهُ شفة الله

طين ... ودم

ذهب ... وحجر

عبد ، حرّ ، لا يستويان ...

كذب ... زيف

وهم ... بهتان

ليس على الأرض سوى الإنسان

الطاغية ... العبد الأكبر

ما ثمَّ إله يتجبر

كذب ما قالته الأديان

فاطلِّـي يا افريقيه

إن الأجراس الوثنيه

والأقدار الكهنوتيه

أكلتها نار الحريه

ما أبقت منها غير دخان

فاكتب يا جبار الأحزان

أكتب عن فجر البشريه

عن آخر أيام الطغيان

في أرضي ...

في افريقيه .

# في ضوء الفجر

في ضوء الفجر ابتلَّت بالدم خمس رؤوس

انطفأت خمس شموس

كانت في آفاق بلادي

ذات الأحزان الصخريه

تتألق في ليل الكابوس

باسمك أيتها الحريه

في ضوء الفجر
تدفق شيء كالشلال
تدفق من أعناق رجال
صنعت أيديهم الاستقلال
صنعته من أجل الأجيال
أوه ... يا ثمن الحريه
أو لا زال علينا كي نعبر درب الهم
أن نغسل أوجهنا بالدمّ
دم خمس شموس بشريه
أوه ... يا ثمن الحريه

في ضوء الفجر الأخضر ...
كان الليل يجر خطاه
جاحظة فوق الدم عيناه !

# لو ماتت في شفتي الكلمات

زمني قاس ...

زمني جلاد لا يرحمْ

زمني وجه يتفجر من شفتيه الدم

زمني يا أخت هوايا أصم

يخنقني كي لا أتكلم

وأنا إنسان يتألم

وأنا أبصر ، أسمع ، أعلم

أعلم ان الحرية تحكمها القضبان
أن شعوباً ما زالت تتبنى الأوثان
ان الثورات تموت وتولد في الإنسان
أعلم اني لا شيء ... سوى ظلمات
لا شيء ... سوى روحٍ مظلم
لو ماتت في شفتي الكلمات
ولو أطبقتُ عليها الفم

زمني يا أخت هوايا حزين
صوتُ نبيّ ... وصراخ سجين
وصباح ... ومخالب تنّين
تقطر بالدم فوق الآفاق الشرقيه
لتظل الشمس وراء العالم منسيّه

ليظل الإنسان الخلاق

ابن الأيام المغسوله

ببطولات القرن العشرين

يساقط ملويّ الأعناق

تحت الأقدار المجهوله

ويموت ...

وفي كفيه الطين

زمني ... يا أخت هوايا هرمْ

في داخله جثمانُ إله

ما زالت تومىء لي عيناه

أن أسجدَ ...

لكني أعلمْ

أن حرير العالم مهما غطى الأموات

ستظل عرايا دون حياة

ستظل رفاتاً يتهشم

لو داست فوق ثراه قدم

زمني ... يا أخت هوايا عجبْ

موسم جوع ... وجبال ذهبِ

# انفعالات

مثل خرير الدم كان صوتها

يسقط فيّ ... مثل دقات المطرْ

على القبور البيض ... مثل أوراق الشجر

إذا الخريف اجتاحها عند السحر

فارتجفت ... ثم هوت

تصرخ في وجه القدر

وكان وجهُها الذي عرفته يوماً

فغطّيتُ الحقول بالزهر

لأجل وجهها ...

ودوَّرْتُ القمر ...

كان غريباً مثل تمثال حجر

فيه ألوهة البشر

ووثنية البشر ...

وفيه بئر موغل خلف الغسقْ

أمواجه رشحُ دماء وعرق

وريحه صوت انفعال وأرق

وامرأة حبلى مدلاَّة العنق

تغسل وجهاً شاحباً ... نصف شفق

من الدموع والعرق

وفيه قصر يستحم بالسحب

سماؤه من الذهب

وأرضه من الذهب

حتى الذين اضطجعوا داخله

دون حنين ... أو تعب

آلهة من الذهب

وفيه صوت خانق ...

سمعته ينسَلُّ في بطء شديد

كأنه ينفذُ من بين السدود

كأنه يصعد من غور بعيد

من جثث خلف الحدود

وأمم من العبيد

تجر خلفها القيود

كجبل من الحديد

ذات مساء كنت أصغي في ندم

لصوت تمثال أصم

لثورة بلا ألم

لصرخة بغير فم

تهيب بي ...

ان انتقمْ ... ان انتقم ... ان انتقم

# اعترافات

الدرب كثعبان ينزلق خلال الغابه

كسحاب أسود يتراكض خلف الظلمه

لا خفق جناح ... لا رعشة نجمه

لا شيء لكي أكتب كلمه

فالكلمة في شفة الله

والله على الأرض سجين ...

لا شيء ...

ويتجهّم حزني

ويغطّيني عرقُ الموتى

وأحس بشيء مصلوب

ينزع أطرافي المصلوبه

ويغوص بصدري كالسكين

( دع المقادير تجري في أعنتها

ولا تبيتنّ إلا خاليَ البال )

ويَحي من هول الاكذوبه

ويْحي ... وأنا شفتا شعبي ... أنا عيناه

كيف تناسيت ضحاياه

وأنا أعشاب لولاه

أنا لولاه طين ودخان

إني أنزف خجلا
إني أخفض هذا الرأس العالي عارا
لو لم أكتب شيئا
لو لم أنفض عني هذا اللاشيء

يا أبناء القرن العشرين
النصف المنتصر الآتي
المتحرر من ظل الخوف
القادم من شرفات الغد
ولو اني لم أركمُ ...
لم أبصر أوجهكم ...
إلا أني أسمع وقع خطاكم عن بعد

يا إخواني

إني أحمل كل خطيئة عصري

فأنا شاعر

أظلم عينيه بريق العصر

يا إخواني ...

كنت أراهم يمشون ملايين إلى الموت

يحتضرون لدى كل مسيحْ

يجرون جموعاً خلف الريح

وأنا أغمض عيني

أكسر سيفي

أطرق ...

أحضن عاري في صمت

الدين عذاب

الفن عذاب

الصمتُ عذاب

وأنا شاعر

ماذا أملك إلا أن أجترّ عذابات الناس

أرثي الأموات ، وأبكيهم

( مات فلان يرحمه الله

كان يفيض حياه ..

كانت عيناه طيبتين بغير ألم

كانت قدماه حافيتين بلون الدم

ما مشتا يوماً لخطيئه

يرحمه الله ... )

وأنا شاعر
أعلم أن فلاناً يرحمه الله
مات كما عاش بغير ثمن
يحلم بالجنة ، وهي وطن
دميت فوق الأشواك خطاه
( يرحمه الله )

لو كان يطهّرني النسيان
لو إني أحمل في صدري حجرا
لو إن الشيء الخافق في صدري قطعة فولاذ
لنسيتُ
لمزقتُ الصفحاتِ السود

لو كان يطهرني الغفران

لبكيت

ولكني شاعر

أظلم عينيه بريقُ العصر

# الندم

يولد في أعماقنا كالشجر الغريب
يكبر مرتين ... قبلما نراه
كما تهب فجاة سحابةُ المغيب
والشمس ما زالت تبارك الحياه

وعندما يولد فينا ذلك الزوال
في لحظة تعرفُها الحياة بالقلقْ

نصبح نحن مثلما نغوصُ في الرمالْ
ذاك لان شيئاً في نفوسنا احترق
نصبح أعيناً ترى ... ولا نرى
جامدة مثل عيون ميتين
نصبح أرؤساً ثقبها الكرى
وصبّ ملئها الفراغ والسكون
نصبح أقداماً تغوص في ثرى
يغوص تحتها ملايين السنين

ذاك لأن شيئاً في نفوسنا ثمين
داست عليه قدم
ذاك لأن الندم
يشبّ في أرواحنا كل حين

# سرعان ما أنسى

سرعان ما أنسى ..

فلا أذكر من أنتِ .. وأين ؟

رأتك عيني .. أنت يا عيني ..

يا شهوةَ عين ..

يا عرقَ الحنين ..

يا عاصفة في شفتين

يا عنقاً .. يا نهراً أبيض معقود اليدين

يا شعراً .. ضفيرتين من أسى ضفيرتين
يا قدمينِ حلوتينْ
قدمين حلوتينْ ..
يا جُزُراً صبّت شذاها في دمائي ليلتينْ
فاظمأتني مرتين ..
وغرّبتني مرتين ..
سرعان ما أنسى فلا أذكر
من أنت .. وأين ؟

سرعان ما أنسى ..
فلا أذكر حتى ذكرياتي
أتركها عريانة خلفي
وأمضي لحياتي

أتركها .. وهي سحاب عابر في ظلماتي
أتركها لم التفت خلفي
ولا طال التفاتي
أتركها .. هل حزنت روحك
يا مرآة ذاتي ..
لا تحزني .. لا تجعلي روحك سوداء الصفات
لا تجعلي الغربة تجتاح جلال الكائنات
وانسي حكاياتي .. وضوضائي
وانسي كلماتي
إني سأنساك ..

ولن أذكر حتى ذكرياتي
لكنما تهتف بي عيناك

ماذا تبغيانِ ؟

من شاعر مثلي ما زال خرافي المعاني

من ثائر مثلي ..

ما زال سجين العنفوان

الحب ؟

هذا الحجر الناتيء في كل كياني

أخشاه يا عينيه ..

يا عيني حبيبي .. أن يراني

يوماً بلا حبّ

فيمشي كبره فوق هواني

وأن أناديه ..

فلا يملأ قلبي بالأغاني

# ليلة السبت الحزين

الليلة .. الليلة يا حزينة العينين ..
ازدهر الصبّار
فوق قبرنا القديم ، ازدهرت شجيرة الصبار
أضفت على بقايانا ظلالها السوداء
كأنما لم يكفها أنا غدونا غرباء
وأنها تمتصُّ مما نزفت أرواحنا
فنصبت جذوعها من فوقنا صلبان

تكسو بها موتى بلا أكفان

الليلة .. الليلة يا حبيبتي

كانت مع السحب عيوني

وأنا خلف جداري جثة يسجنها جدار

أكبر مما تبصرين أنت يا حزينة العينين

حالك الظلمة .. حالك النهار

يدفننا يحفر قبرنا في كل يوم مرتين

ونحن بعض جثتين

ليس على وجهيهما إلا ابتسامةُ احتقار

وشهقة احتضار

الليلة الدموع .. الليلة الندم

مليون زهرة تسحقها قدم

وجه قتيل يبتسم

شمس تحيض دم

اختلط العذاب بالسأم

القيد في الشفاه ..

والسياط في الجباه

احترقت ستائر الإله

حتى أنائي الأزلي .. شاهْ

أنائي المقدّس انحطم

يا لفظاعة الألم

# اغماءة

تمنيت .. لو لم تقم بيننا كل هذي السدود
ولو كنت يا أبعد الناس عن مقلتيا
ويا أقرب الناس منّـي إليا
تمنيت .. لو كنت بين يديا
هنا في سكوني العجوز القعيد
سكوني الذي يترامى عليّـا
ويلتفّ حول يديّـا

ويسجن فيَّ الرعود

ويهبط حولي

يهبط مثل الجليد

تمنيت يا أجمل الغانيات جمالا

إذا خجلت مقلتاك

أو التهبت وجنتاك اشتعالا

ويا أعظم الفاتنات نقاء

وأرفعهن سماء

وأبعدهن منالا

تمنيت لو كنت أنت معي الآن

أنت معي .. أنت

أنت بعينيك .. صوتك .. شعرك

هذا الدجى المخصب المبدع

أمرِّغ في حقله الاستوائي
في موجه الشفقي الشتائي
أمرغ في لحظة كبريائي
وأشرب من أدمعي
وتجتاح روحي أجراس فجرك
فأسقط في موضعي
ويغمى عليّ
وتأخذني غفوة فوق صدرك

تمنيت لو لحظة من حقيقه
أراك بها . ويعود الخيال
يمد ستائره دوننا
ويعود السأم

يعانق روحي الطليقه

ويبذر فيها الندم

ويحفر نهر الألم

في صخور الجبال

# ليته لا يزال

ببطء يموت

ببطء يجرجر ظلّه

إلى أين .. والليل ، والريح حوله

ولم يبق في العمر إلا أقله

إلى أين يمضي بهذا العذاب

يفتح باباً .. ويوصد باب

ببطء يموت

كأن الزمان .. من الرعب

قدمان حجريتان

مصفّدتان .. معذّبتان

تكادان في عمق هاوية تسقطان

تكادان من ثقل هائل تصدأان

ببطء يموت ويختنق اليأس في روحه ..

ويضج الندم

متى ياغريب تعود ؟

فإن التراب القديم

يحنّ لخطوك ما زال

والريح لم ..

تلق عن كتفيها الغيوم

وما زال حزنك في كل فم
متى ؟ وينكّس هامته كالعلم
على ربوة من رماد ودم

ببطء يموت
ألا ليته لا يزال
الغريب الذي لا يزال
يقتني الذكريات الشريده
ويعدّ النجوم البعيده
ويشد إليها الرحال
ليته لا يزال
ويموج الصدى في شعاب الجبال
ليته لا يزال
ليته لا يزال

# ماضيها

ماضيك ..
لو أني أغار عليك من ماض
لأحرقني لظاه
لسقطت إعياء ، أطارده
وفي عينيّ جرح من رؤاه
فضِّي طلاسمه .. اهتكي أسراره
ورموزه حتى أراه ..

وأراك أنت به ..

أرى حواء كيف تغوص في وحل الحياه

قصّيه ضاحكةً ، وباكيةً

وصارخةً .. ومطبقة الشفاه

فلربما أيقظت غيرة شاعر

مثلي .. فعاد إلى هواه

ماضيك ..

لا .. لا تخجلي منه

فلي ماض .. له نبض كنبضي

تعدو على بعضي ، سنابك خيله مذعورةً

وتدوس بعضي

ماض دفنت عظامه يوماً ..

لأنساه بأرض غير أرضي

فإذا به حيّ .. يطل عليّ مبتسماً

ويمضي حيث أمضي ..

وأفرّ منه إليه ..

ثم أعود يا أختاه حيث بدأت ركضي

ماضيك .. أو ماضيَّ

سوف نعيش فيه معذبين

وسوف نقضي

وأفرّ منك إليك

يا ماضي سنيني الآتيات ، دجى وفجرا

لأكاد لا أقوى على رؤياك

كيف غداً أراك ، وأنت ذكرى

لوددت ، لو أني نقشتك في عظامي

في جبين الشمس شعرا

لوددت لو أني سكبتك في دمي

عرقاً إلهياً ، وعطرا

لوددت لو أني خلقتك

صورة ، لا تنمحي دهراً فدهرا

لوددت

لكني حملت خطيئة الماضي

على كتفيّ قهرا

# بعض معانينا

بعض معانينا العذاب يخفيها
يمتصّها .. حتى يلاشيها
يبني ستاراً حولها قاتماً
تلمسه الروح .. فيدميها

بعض معانينا حياة تموت
يموت فيها الفرح

يموت حتى الحنين

ونحن نجثو حولها خاشعين

وفي تجاويفنا ..

صخر .. وعشب .. وطين

بعض معانينا ، خطى مثقلات

بالحقد ، والنقمه

ملوية الأعناق ، متكبرات

لا تعرف الرحمه

لأنها تولد في العتمه

لأنها تخوض في الظلمه

---

بعض معانينا ، غير معانينا

لولا قبورها محفورة فينا

# الى عينين غريبتين

سيدتي ..

لو لامستْ عينيك هذي الكلمات العاشقات

صدفة .. لو عبرت خلال الشفتين

فاعتذري عني لعينيك

لأنني اتكأت في ظلهما ذات مساء

سرقت غفوه ..

داعبت في سكونها النجوم والقمر

نسجت زورقاً خرافياً ، من ورق الزَهر
وسّدت روحاً متعباً
سقيت شفة لاهثه
أطفأت شوق عين

سيدتي ..
حين التقينا صدفة لقاء الغرباء
كانت كآبتي مثلي ، تمشي في الطريق
عارية بلا قناع
مشقوقة القدم ..
كانت كآبتي أنت
وكان الحزن ، والضياع
كان الصمت ، والندم

يعانقان شاعراً أنهكه الصراع

والشعر يا سيدتي في وطني غريب

يقتله الفراغ ، والعدم

وانتفضتْ روحي حين أبصرتك يا سيدتي

شعرت فجاة ، كأن خنجراً يغوص في دمي

يغسل قلبي ، وفمي

يطرحني مخضّب الجبين ، ضارع اليدين

تحت ظلال مقلتيك الحلوتين

سيدتي لو التقينا فجأة ..

لو أبصرت عيناي تلكم العينين

الأفقين الأخضرين الغارقين في الضباب والمطر

لو جمعتنا صدفة أخرى على الطريق
وكل صدفه قدر
فسوف ألثم الطريق مرتين

# مأساة الإنسان الآخر

.. وتحرك شيء لا أبصره .. لا أدريه

شيء عيناه غائصتان بأعماقي

ومخالبه فوق جروحي

– لا تضعف ..

إن الضعف يميت القلب

لا تسقط ..

لا تلق سلاحك

أحرق في الظلمات وشاحك

أحمل نارك في كبر .. يا انسان العصر

ضَعْ أقنعة الآلهة على وجهك ..

وتحدّ القهر ..

أصلب عينيك

أصلب شفتيك

أصلب رأسك

أصلب شمسك

لا تتعذب .. لا تتألم

امضغ أحزانك .. وتبسّم

ومضيت ...

مضى الانسان الآخر ، فوق الريح

يحمل صلبان الموت على كتفيه مثل مسيح

ـ من أجل الضعف أموت ؟

ـ بل من أجل القوة

إن الموتى أقوى بالموت من المأساه

كيف تصادف أن تبقى المأساة على الأرض

أن تحيا في وهج القرن العشرين

ـ المأساة هي الموت

الطفل يشب على قدميه .. يعيش .. يموت

المهد غطاء اللحد .. القابلة ذراع الحفار

لو أن الطفل أراد

لو أن الطفل أختار

ـ أكان يريد الموت

ـ المأساة الأقدار

ومضيت ..

مضى الانسان الآخر .. انسان القلق الغاضب

المأساة الأقدار

ـ يوماً ألقيت على كتفيّ جرابي المثقوب الساغب

لا زاد ، ولا ماء ، ولا ملح

العُشبة إن وُجدت تشبع جوعك

تغنيك عن الحنطة ، والقمح

جسدي مصبوغ متسخ تنكره العين

ـ أنا جسد تنكره العين ـ

الجسد المتّسِخُ ، دليل القلب المغسول

قلبي بعذاباتي مغسول

مرقّعتي ثوبي .. وغطاي

حذائي مسكين ، وعصاي

ـ المأساة الأقدار

كيف أراها .. تلك الأقدار تعذبني

تلك الأشباح القدسيه

قلق الانسان يعذّبني ..

يملأ بالأعشاب يديه

لسألت .. لو أن الأقدار حقيقه

عن انسان قبلي ..

عن مسكين مثلي

رجموا جثّته حيا ..

فقأوا عينيه ..

انتزعوا قلبه ..

ذات صباح ، كان الانسان يحاول أن يبصر ربّه

دفنوه في أعماق التربة ، وأقاموا الجدران

لم تكن الجثة ما يخشون ، ولكنّ الكلمه
حين تصير الكلمة ، مجد الخالق ، مجد الانسان
ـ المأساة الانسان
يا إنساني الآخر لنعد
أوَ ما تبصر دمنا فوق الطرقات يسيل
رويّنا ظمأ الأرض به
لو كان بذوراً لاخضرّت أحشاء الأرض
دمنا فوق الطرقات يسيل
وما زالت أحشاء الأرض

# الطريق

## المشهد الأول

.. وفجأة دبّ على الطريق وقع قدمين
طريدتين ، تجريان .. تجريان
ثم اختفى صداهما .. ثم أطلْ
خيال جنديّ مدجّـج السلاح
حدّق في الظلام برهة .. ثم اضمحلْ

وهبط السكون كالجبل

وعاد يعبر الطريق ، وقع قدمين

ـ الموت في طريقه .. يا ليته لا يقترب

الموت والعدوّ بالمرصاد

يا ليته يعود

فالموت في بنادق الجنود

والضعف ليس يقتل الغضب

والحب ليس يصرع الأحقاد

وهو يداه .. لا يحمل في يديه

سيفاً ، ولا قنبله

وإن يكن يحمل في جانبيه

ما يحمل الموت له

روحي فداه

وغيمت سحابه
فغطّت القمر
وبلّت الشجر
واختلط الرصاص بالمطر
والصمت بالكآبه

**المشهد الثاني**

على طريق الفجر ، مشت العيون
تقبل الثرى الغارق في الدماء
وترمق السحاب في السماء
فخلف كل غيمة سماء
وخلف كل ظلمة ضياء
وخلف كل صرخة مدويه

يسكتها الطغاه

يولد طفل التضحيه

كأنه إلـه

في ثورة ، في أغنيه

تنمو على الشفاه

في كلمة يا بلادي

في حفنة من رماد

في لحظة استشهاد

ممتدة في الحياه

**المشهد الثالث**

الدم ما زال على الطرق ينهمر

الدم والرصاص والمطر

الدم كالضباب ينتشر

الدم يثقل الهواء كالحجر

كالسحب ، كالرياح ، كالأسلحه

الدم صار أذرعه

صار رماحاً ، وسيوفاً مشرعه

الدم غطى الجباه

صار نخيلاً وشجرا

صار ملايين البشر

تنبض بالحياه

إني أراه .. أراه

فهو دمي يا طغاه

## المشهد الرابع

قلبي على الدرب الطويل لم يزل
يضج رغم المنايا
وينشر الدموع ، والقبل
على شفاه الضحايا
على العيون المطفآت والجباه
مصفرة ، كأنها في صلاه
على وجوه تقهر الطغيان وهي صامته
سجينة الكبرياء
على أياد تضفر الثورة وهي ميته
موغلة في الفناء
قلبي على رصاصة معقودة اللسان
يطلقها طاغية جبان

شلت عليها يداه

ليسكب الظلمة فوق الزمان

فلا تضيء خطاه

لتخلد المأساه

على جبين الناس

وكي تظل الحياه

مهدورة الأنفاس

# اغنية في الضوضاء

ماذا أصنع لك ...؟

يا أجمل أجمل شيء في دنياي

ماذا أصنع لك ؟

هل أملك شيئاً آخر غير هواي

الظلمة تملأ عينيّ

وقيد الظالم حول خطاي

وطريقي أخرس

لكني أسكب في شفتيه غناي
ماذا أملك لك يا أختي ؟
يا أخت صباحي .. ومساي
يا أغنيتي الحيرى ، في هذي الصحرا
ورجع صداي
يا قيدي الأكبر .. يا سجني البشريّ
ويا جرح هواي
ماذا أملك لك ؟
هل أملك الا حبك ملء دماي
وبقايا من أمل باق
يلهبني .. ويثير أساي
فأعود أسير ..
وأغلالي تثقلني .. وتشد خطاي

وأعود وتستيقظ روحي

وأعود .. وتمتد يداي

وتقولين نسيتك أنت ..

نسيتك في ضوضاء صباي

وأنا فيك أعيش ..

وتنمو شجراتي

ويفوح شذاي ..

وتدور شموسك في ليلي .

فيضيء ... وينهار دجاي

وتقولين نسيت

واصغي .. أسمع صوتك ملء دماي

يا صوت الزلزال تكلم

أسمعها في البعد نداي

# الطفل والعاصفة

السـاعة منتصف الليل

وعلى الدرب تنام الظلمه

أنثى .. ساقان وجمجمه

ما زالت تتآكل غلمه

وصراخ أخرس .. أسمعه

يتحدر من أعلى القمه

وضحايا تتعذب مثلي

في شوق .. من أجل الكلمه
الساعة ، منتصف الليل
ومع الظلمة يصحو الشعراء
يسقون نفوساً ميتةً
ويضيئون عيوناً عمياء
ويغنون لفجر آتٍ
فجر بشري الأضواء
ويقولون قصائد شعر
ويطيلون إليها الإصغاء

وذكرتك .. يا نجمة حزني
حزني المتوهج ، في الليل
والعتمة ، تتمطى سأما

تتلوى أرقاً من حولي
وأنا أتطلع مبهوراً
كالطفل الراقد في الظل
أحلم بعيون مشمسة
تعدو في الأفق المبتل

وذكرتك .. والليل سحاب
يمشي معصوب العينين
فبكيت لأن صباباتي
تشنقني فوق صليبين
وبكيت لأنك في عمري
شعر .. وعذاب شقيين
وبكيت . وصوتك عن بعد
طفل مشلول القدمين ..

الريح وطفلك ، والظلمة

وجراحاتي ، فوق الدرب

لأكاد أراه .. أرى جثته

ملقاة فوق العشب

فأصيح بها : ياريح قفي

هذا الطفل الضائع قلبي

رديه .. فتنهار الأصداء

وتمتد قصور الرعب

وأطوف مع الليل حزينا

أجري .. والمأساة أمامي

تجري .. ها أنذا يا طفلي

آت أتسلق أيامي

ها أنـذا يا طفل الرغبه

أضفر من أجلك أحلامي

ها أنذا .. حتى ينمو العشب

ويتعانق فوق رخامي

# الحصاد الافريقي

أصبح الصبح فلا السجن ، ولا السجّان باقٍ

وإذا الفجر جناحان يرفّان عليك

وإذا الماضي الذي كحّل هاتيك المآقي

والذي شدّ على الدرب وثاقاً لوثاق

والذي ذوّب ألحان الأسى في شفتيك

والذي غطّى على تاريخنا في كل وادي

فرحة نابعة من كل قلب يا بلادي

أصبح الصبح .. وها نحن على البعد التقينا

التقى جيل البطولات .. بجيل التضحيات

التقى كل شهيد قهر الظلم .. ومات

بشهيد لم يزل يسقي بذور الذكريات

أبداً ما هنت يا افريقيا يوماً علينا

بالذي أصبح شمساً سطعت ملء يدينا

وشذى تعدو به الريح ، وتختـــال الهوينى

يا بلادي

أصبح الصبح .. قباب عاليات ، وبيارق

تفرش الأفق .. ودقات نحاس وطبول

ايه يا افريقيا الكبرى ، التي تبني المشارق

أنا ما زلت أرى وجهك في ضوء الحدائق

أمس.. والظلمة كانت تسكن الدرب الطويل
والخطى فوق الخطى .. والجفن فوق الجفن عالق
يا بلادي

أصبح الصبح .. لنا خلفك يا صبح الحصادِ
ألف صبح قد نسجناه بأضواء العيون
أيها القادم محمولاً على سمر الأيادي
يا حصاد العرق الدامي .. وميراث الجهادِ
أيها التاج على جبهة شعبي .. وبلادي
آه ما أروعك اليوم ، على هذا الجبين

# العار

لما انغرس الخنجر ، في الصدر العاري
وتوهج قنديل الدم
وانكسرت آنية الرغبه
سقطت أجنحة الطير العائد من أرض الغربهْ

لما انغرس الخنجر ..
كانت سيدتي الشمس تموّج عينيها فوق الغابات

وتغني لحقول الكاكاو الممتدة .. والشلالات
وقوارب صيادين مساكين حزانى الضحكات
ونساء علقهن إله الجوع على طول الطرقات
وهبطت إلى كوخي يا سيدتي
لِمَ يا سيدتي ذات نهار
مرغت جلالك ، فوق وسائد صياد مثلي
قاربه مكسور .. وموانئه للريح ممر
لِمَ يا ذات العنق المرمر
حتى انغرس الخنجر

عاري شمس
هل أنسى عاري ، يا سيدتي الشمس
سأظل أخبيء وجهي عن وجهي

ربما أنساه

ربما أنسى اني خضبت يدي يوماً بدماء الآه

ربما أغسل عاري عن روحي يا أختاه

ولو ان العار يزين صدوراً في عصري

ويرصع تيجان ملوك ..

ويقيم عروش طغاه ..

# ريح تمر

قلبي من أجلك تابوت رخام أخضر
يتهدل فوق جوانبه الديباج
ويغطيه ضوء الشمس الوهاج

وكأشجار الغابه ..
يخضوضر من أجلك حزني
ينمو .. يتمدد .. يتسلق روحي

حزني الزنجي العاري ، ذو الجسد المقرور

وكأمطار الغابه ..
يتصبب من أجلك حزني
سحباً .. سحباً فوق جدار الزمن المهجور

وكأصوات الغابه ..
يتعرّى من أجلك حزني
يتشقق أجراساً ، وطبولاً وثنيه
ومرايا تعكس روح الأرض الزنجيه

لا يا قمري النائم في الديباج الأخضر
عيناي زجاج مصبوغ ، ويداي حجر

وأنا لا أكثر من ريح في الغاب تمر

اني لا أكثر من ريح في الغاب تمر

# غابة موت

نيويورك .. ملء عروقي كآبه
وعيناي فوق ثراك سحابه
ولستِ بلادي
ولا قلبك المتحجر قلبي
ولا أنت في وهج الشعر دربي
فافريقيا موطني والزنوج المساكين شعبي
الزنوج الذين أقاموا هيا كلهم أمسِ جسرا

تمر عليه إليك الحضاره

والذين يضيعون في طرقاتك رعباً وقهرا

وتضحك أفواههم في مراره

والذين لدى كل ضربة معول

وفي كل رعشه منجل

وملء مناجمك المعتمات

وملء شوارعك المتخمات

وملء ترابك .. ملء قبابك

ملء كنائسك العاليات ْ

سينسون انك سوط ، وانك قاتل ْ

وانك، حسناء مغلولة بالسلاسل

ولكنهم يا نيويورك مهما نسوك

ومهما تناءوا ، وراحوا يشيحون عنك
ستركض أرواحهم من بعيد إليك
لتدفن أوجهها في يديك
وتحنو عليك
وتجهش مخنوقة بالبكاء
لأنك أمّ ، وان كنت قاتلة الأنبياء

نيويورك يا غابة الموت .. ملعونة كيف كنت
فهذا الذي لطخته يداك ، جبينك أنتِ

# حصاد شعب

زحفت مواكبنا .. فقل لصحائف المجد استعدّي

هذا الذي غرسته كف الشعب ، في اليوم الأشد

هذا حصاد القادرين ، على الارادة والتحدي

ولقد قدرنا ، رغم بطش الأجنبي ، المستبد

ولقد هدمنا ، كل ما في الأمس من سجن وقيد

ولقد هزمنا، كل ما في الأرض، من ضعف وحقد

ولقد عقدنا في طريق نضالنا أكاليل ورد

يا شعبنا .. وخطاك أعصار

وصوتك صوت رعد

وبيارق الشهداء فوق ثراك من جدّ لجد

والشمس حانية عليك ، تطل في تيه ووجد

ترنو إليك .. وأنت ثورة ثائرين لخير قصد

لحياة شعب .. وانتفاضة أمة .. وبناء مجد

ولتصبح الحرية الكبرى ..

طريقك دون حدٍّ

يا ملهم الشعراء ، أروع شعرهم يوم التحدّي

ماذا أقدمه إليك ؟

وأنت كل الشعر عندي

# معزوفة لدرويش متجول

# معزوفة لدرويش متجول

# معزوفة لدرويش متجول

شحُبت روحي ، صارت شفقاً
شعَّت غيماً وسنا
كالدرويش المتعلِّق في قدمي مولاه أنا
أتمرَّغ في شجني
أتوهجُ في بدني
غيري أعمى ، مهما أصغى ، لن يُبصرني
فأنا جسدٌ .. حجر

شيءٌ عبر الشارع

جزرٌ غرقى في قاع البحر ..

حريقٌ في الزمن الضائعْ

قنديلٌ زيتيّ مبهوتْ

في أقصى بيت ، في بيروتْ

أتألق حيناً . ثم أُرنِّقُ ثم أموت

* * *

ويحي .. وأنا أتلعثم نحوك يا مولايَ

أُجسِّدُ أحزاني ..

أتجرَّدُ فيكْ

هل أنت أنا ؟

يدك الممدودة أم يدي الممدودة ؟

صوتك أم صوتي ؟

تبكيني أم أبكيك ؟

* * *

في حضرةِ من أهوى
عبثت بي الأشواق
حدّقتُ بلا وجهٍ
ورقصتُ بلا ساق
وزحمتُ براياتي
وطبولي الآفاق
عشقي يُفني عشقي
وفنائي استغراقْ
مملوكُكَ .. لكنّي
سلطان العشاق ! –

بيروت – ١٩٦٧

# نقش على شفتين

نقشوا اسمكِ في شفتيَّ ..
وكانت بيروت الغجرية معشبة القدمينْ
يستلقي معطفها الوحشي كسولا
في ظلِّ الكتفَينْ
وقبَّعة من ريش نعامٍ
تقضمُ أطرافَ الأُذنينْ
ويرقرق دمعته قلبُ العقد الماسي

وتسقط من فمِ مولاتي القاسي
ضحكاتُ العامْ
ويمر خلال الضوء غلامْ
ـ بيروتُ عجوز تلبسُ زينتها
في كل مساء
لكلاب الصيد .. وللغرباءْ
أما نحنُ الفقراء !
.. ويحرك كالمجنون يديه
ويبصق في استِعلاء
والليل الشتوي السنجابي الأحلامْ
يتوارى في غاباتِ الأرْزِ
بعيداً عن وهجِ القاعات
والبالونات

وأشجار الميلادْ

والساعات المتلاصقة الأقدام

ترقب شاحبةً

خطوات القادم عبر ممرات الأيام

* * *

ويُطلُّ يسوعْ ..

الثلجُ يغطِّي بُردته البيضاء :

ـ ها أنتَ أتيتْ

غريباً يقطر وجهك حزناً

حيث مشيت

مسيرة ألفي عامْ

لا خُبزك أنت ولا ملح الأديان

الحق أقول ..

الخالق والمأساة هو الإنسان

ويغيبُ يسوعْ

* * *

وتلوح وجوهُ الاثني عشْر

ـ الأسفـار اهترأتْ

ما بين دُخان التَّـبْـغ وضوضاء الحاناتْ

وحُـواة السِّـيرك ، وفرسان الحلوى

وملوكِ الصالوناتْ

عُودوا لمغارتكُـمْ

فالعالمُ لم يعد العَـالمْ

وأبكوا .. ابكوا

فيهوذا الخائن فوق محفته الملكية آت

وتغيبُ وجوه الاثني عشر

* * *

ويخْضَرُّ اسمُكِ في شفتيّ

كالنقشِ الفرعَوني

على قبرٍ منسيّ

كالنقش على أعناق الطَّير

على جِلدِ الحيتَان

كالنقشِ على أكتافِ أمير افريقيّ

كان اسمكِ في شفتيّ

منقوشاً منذ استيقظت الأكوان

وأتيتُ العالم طفلاً

أغرقه الطوفان

فأخطأتِ الرؤيا عيناه

ومِتُّ سنيناً

ثم بُعثتُ

وها أنا ذا يا مولاتي

استغرق في رؤياه

بيروت – ١٩٦٧

# تحديق عبر الأشياء المرفوضة

لماذا تظل الوجوه المليئة بالصمت
مُوغلةً في الذهاب ؟
أأقنعةٌ أم وجوهٌ محدِّقةٌ
في مرايا العذَابْ
لماذا المقاعد مصفوفة والقناديلُ والزَّهرُ .
حتى كأنّ ستارَ النهايهْ
سِتارُ البـِدايهْ

* * *

لماذا مشى قاتلاً ثم عادْ

قتيلاً ..

يداه على موضع الجرح ، عادْ

كأنْ قد تذكَّر شيئاً ، فعادْ

وفي قلبه السيف والجرح ..

إني أُحبكِ ..

جرحيَ أني أحبكِ ..

لكن قلبكِ لا يعرفُ الحبّ ..

قلب صنوبرَةٍ .. سُلحفاةْ

لماذا أنا أنتِ .. يا ويلتاه

لقلبكِ هذا البناء القديم

الصنوبرةِ ، السلحفاةْ

البناء القديم

عَبرْتُ دهاليزه ألفَ عام
أُغنِّي ، وأبكي
أشدّ طبولي تحتَ الرخام
وأرقص خلف حنيني وشكِّي
وعدت كما جئتُ تنكرني خطواتي
وأنكِرُ ذاتي ..

* * *

لماذا أحدِّقُ فيكِ ..
وتصعدُ بي صلواتي إليكِ وتهوي ..
فموتي حضور جديد ، وصحوهْ
وبُغضي تآكل شهوهْ
ورفضي احتواء
وعقمي نُبوّهْ

لماذا أحبكِ أنتِ ؟

أحلِّقُ بالليل حول سريركِ نجمهْ

وأشهقُ غيمَـهْ

وأغدو أنكِسارًا ورحمهْ

وطفلاً عميق البراءة

يحلم في ظلّ خيمهْ

بأن صنوبرة أصبحت سُلحفاهْ

فحدَّق فيها .. وتاهْ

**بيروت – ١٩٦٨**

# ريح الحزن القادم

---

غضبى يتكسَّر في عينيها الضوء

وتصطدم الأشياء

تعود عناكب ميتةً ..

ودمىً عرجاء

تستغرق ضاحكة ..

في غرفة أرملة سوداء

أرجوحتها صدئت من أعوام ..

وخيوطِ رِداء

يتآكل في صمتٍ

وسحابُ بكاء

لُمغنٍّ يستجدي روّاد الحانة

مفقوءَ العينين

لطفل ميتٍ في السنتين

لجيش يغرق في بحر الصحراء

لأن الشمس بغير يدين

لأوجه أطفال ، ونساء

تغرورق أعينهنَّ قليلاً

خلفَ زجاج الموت

قليلا خلف زجاج الموت

وتختلطُ الكلمات

وتشهق روح الصَّمت

وتنشقُّ المرآة !

* * *

غضبى يا مولاتي ..

لو أعرف من أي الآفاق

تهبُّ الريح

لكنت سبقت الريح

وكنتُ نشرتُ على جنبات ..

الأفق ردائي

من أقصاه إلى أقصاه

لأحجب ريح الحزن القادم عن

عينيك ..

وأنصُب عرشكِ قرب الشمس

وأعزف موسيقاي مُحبّاً
في ملكوت الله

* * *

غضبى يا مولاتي
لو أقدر كنت ملأت حديقتنا الجرداء
بالزنبق والدِّفلىّ
وكنت غسلت كآبات الفقراء
من أجلكِ يا عينيّ
ولكني لا أملك إلا الكلمة في شفتيّ ..
أسطرها حيناً في الصَّخر
وحيناً أنقشها مثل المجنون
على صفحات الماء !

بيروت — ١٩٦٨

# حكايات عشق في سالف الزمان

## - ١ -

كشجرة ..

جاءت إلى النهر حزينةً

فغطّى بالضباب وجهها

وشدَّها إليه حتى اغتربتْ

فوق يديه

غنوةً ليليةً بين شفاه قُبَّرَه

- ٢ -

وهطلت ريحٌ عليكِ

فانحنيتِ ، ومشيتِ

كيف تمشينَ وتنحنينَ

تمشي ، تنحني

على غصونها تدوس ذاتها ..

كانت تدوس الشجره

واخترق المسمار جبهتي

تأوَّهتُ

اختلجتُ

سقط الموت يساري

سقط الحب يميني

رقصتُ كاللوحة في الحائطِ

كالناقوس أعلى البرجِ
كالنطفة في التكوين
من ينزلني عن حائطي ؟
عن موتي الراقص أعلى البرج
عن سريري التائه عَبْـر الموج
من ؟ يا هودجي العظيم
هودجٌ من الحرير والنعاس والشَّـجنْ
صدركِ يا حبيبتي
حين يلفّـني ضبابه الكثيف يحتقِـن
فيَّ الإلهُ والوثنْ
وجهكِ يا حبيبتي وثنْ
على مرايا قلبي الحزين
ابتهلت من حوله الشموعُ

وأمتدَّ على روحي
ضياء القبرِ والكفنْ

- ٣ -

وأرتجَّت الأبواب في منفاي
عنكِ يا حبيبتي
أيقظتِ الرُّفات في الضريحْ
شفتاي
« يا نارَ الأسى اسكبي على نارِ الهوى
تضيءُ ..
والعذاب يستريح »
« يا نارَ الهوى اسكُبي
علي نارِ الغضبْ

تموتُ .. »

حيَّـةُ الغضبْ

تموتُ .. »

مال حجرُ الزاوية الكبرى

تخطَّـى صحراء الكون والزمنْ

دوَّى طويلاً وسكنْ

- ٤ -

يستغفِـرُ البحر الرِّياحَ

يشحذ الرياح أن تهُـبَّ

كومة الرمادِ تعدو

خلف حفنةِ الدخانْ

الثلج والحريق توأمانْ

يعلّقان في سُقوف مأتمي

أيقونة وشمعدانْ

ويغرسان في دمي

سيفاً وصولجانْ

جراح سالفِ الزمانْ

أشعلت جراح سالف الزمانْ

**بيروت - ١٩٦٨**

## اغنية موت قصيرة

وتهادتْ الغربه
عرجاءُ تبكيني وتضحكني
وتريقُ ألواني .. وتغزلُني
ليلاً خريفيّاً بلا لونِ
ليلاً عجوزاً طاعنَ السنِّ
يعدو بخيمته ويحملني

* * *

ورأيت بوماتٍ وأغربةً

تصطفّ عَبر مداخل المدنِ

عمياء ترمقني

حيناً وتنقرني

وتظل تنقرني

وأنا أطلّ عليك ..

غائرة القدمين والعينين في بدني

كالجذعِ كالحربهْ

في غابتي المنسيّـة الرطبهْ

* * *

وصرخت حين تلوّت الغُـربهْ

بي .. في ضفائر شعرِهـا الوثني

يا أوّلَ الدنيا وآخرها

لولا هواك لِمتُ في وطني !

* * *

أو أنتِ تلك ؟ كأنّ زنبقةً
حجريةً نبتَت على دربي
وحملتها يوماً لأزرعها
ما بين مجرى الماء والعشب
فتجعّدت ، وحنوتُ ثانيةً
فزرعتها في مخدعي الرّطبِ
لكنها انفرطتْ ..
ولو صبرتْ ..
لزرعتها كالشمس في قلبي

* * *

أو أنتِ تلك المرأة الذئبهْ
مرحى إذن بالموت في الغُـربهْ

بيروت – ١٩٦٨

# الجبل

وكنت لا أعي
كنت أنا التمثال والازميل والخالق
كنت أنا الصبوة والمعشوق والعاشقْ
لما سرقت السرّ ذات ليلةٍ
من جبل الآلهة الشاهقْ
وعدتُ في سجني يا بيروت
تحدجني أقنعة الوجوه والبيوتْ

ورعشةٌ طفليّة لرجل مبغوتْ

تلفُّني في موضعي

ووجهي الغريب يا ثلجية اليدينْ

يبحث في خرائب العيون عن عينين

تعانقان أدمعي

والسرّ يا بيروت كان حلم لحظتين

وخنجراً مرصَّعاً

يصدأ بين أضلعي

* * *

الله يا عجيبة النقوشِ

في حائطك المشقوقْ

الله للشاعر والنبيّ ..

للعاشقِ والمعشوقْ

للخالق .. الخالق في دهشتهِ
لروعة المخلوق
الله يا بيروت للجبل
حين أضاء حجراً فحجراً ..
ثم أشتعلْ

**بيروت – ١٩٦٧**

# رقصة في ذراع الغربة

حتى إذا نسيت يا حبيبتي يوماً

ستبقى لي عشيقتي الكآبه

تلك التي لا تعرفينها ..

الحديقة ، البحيرة ، السَّحابهْ

تخلع ثوبها على قصائدي

تطل في ابتسامتي

تدور بي راقصة في حفلتي الفقيرهْ

تجلس في دنيايَ حيث تشتهي

فهي على دنيايَ يا أميرتي أميرهْ

تجيئني لابسةً إكليلها الشوكي

أو حاملةً شمعتها الضريرهْ

تجعلني حكايةً على الشِّفاهْ

ترسم وجهك الإلهيَّ

على عينيَّ هاتينِ

فلا أرى سواه !

* * *

عشيقتي الكآبه

أيتها الزائرة الغريبة الطِّباعِ

بيروت ُثبَّتت قناعها

ومزَّقت قناعي

وها أنا وحدي في ظلامها

أضيع في ضَياعي

أخاف أن تأخذني الغربه

من ذراعي

تأبّطي ذراعي

تأبّطي ذراعي !

بيروت – ١٩٦٨

# يوميات حاج الى بيت الله الحرام

- ١ -

قوافلٌ يا سيدي قلوبنا إليكْ
تحجُّ كل عام
هيا كلٌ مثقلةٌ بالوجد والهيامْ
تسجد عند عتبات البيت والمقام
تقرئك السلام

يا سيدي

عليك أفضل السلام

- ٢ -

على الرفاتِ النبويّ كل ذرةٍ عمود من ضيء

منتصبٌ من قبة الضريح

حتى قبة السماء

على المهابة التي

تخفض دون قدرك الجباهْ

راسمةً على مدار الأفق أفقاً عالياً

من الأكف والشفاه

يموج باسم الله :

ـ الحمد لك

والشكر لك

والمجد لك

والملك لك

يا واهب النعمة يا مليك كل من ملك

لبيك لا شريك لك

لبيك لا شريك لك

- ٣ -

يا سيدي عليك أفضل السلام

من أمة مُضاعهْ

خاسرة البضاعه

تقذفها حضارة الخراب والظلام

إليكَ كل عام

لعلها أن تجد الشفاعه

لشمسها العمياء في الزحام

- ٤ -

يا سيدي

منذ ردمنا البحر بالسدود

وانتصبت ما بيننا وبينك الحدود

متْنا ..

وداست فوقنا ماشية اليهود

- ٥ -

يا سيدي

تعلم أن كان لنا مجد وضيّعناه

بنيتَه أنت ، وهدَّمناه

واليوم ها نحن !

أجل ياسيدي

نرفل في سقطتنا العظيمه

كأننا شواهدٌ قديمه

تعيش عمرها لكي

تُؤرّخ الهزيمه !

- ٦ -

لا جمرَ في عظامنا ولا رماد

لا ثلج لا سوادْ

لا الكفر كله ولا العِباده

الضعف والذلّة عاده

يا سيدي

علمتنا الحب

فعلّمنا تمرّد الاراده

- ٧ -

أبكِ لنا

وادعُ لنا

فالعصر في داخلنا جدار

إن لم نهدِّمه

فلن يغسِلنا النهار

بيروت - ١٩٦٨

# الأقنعة

قبل سقوط الأقنعه

وقبل أن تنهار

جوانب المسرح أيها الممثّلون

أسدِلوا الستار

واطفئوا الأنوار

* * *

وحدي أنا الشاهدُ

والقاعة مزحومه
وحدي أنا الضاحكُ
والقاعة مهمومهْ

* * *

حصدتُ بالكفين
صحراءَ من الشوكِ
لعلّني أبكي
فإنني أخجل من ضِحكي

* * *

تقول لي عينا المشاهد
الذي بجانبي
خناجر المقنّعينَ دائماً في عجلهْ

تقول لي :
جفّت دماؤه على ثيابهمْ
مَنْ قتلهْ ؟
ويمضغُ السؤال صاحبي
وتكسو حاجبيهِ
دهشةٌ مفتعلهْ

حزنك يعنيني !
أريدُ أن أقول لهْ
حزنكَ والأصابعُ مقشعرّةٌ
على وجوه القتلهْ
دعنا نرى نهاية الروايةِ
المبتذلهْ

* * *

البطلُ الخيَـانهْ

يرنو جريحاً ذلك الطفل الملائكي

قلتُ : البطل الخيانه

إن لم يكن غداً

فبعد غدٍ الادانهْ

* * *

كانت تراباً هذه السماء

كانت قبّـةً من النُّـحاس

حين ذبحتم القرابين لها

لم تعطكم شيئاً

لتعطوه محبّـةً

لكلِ النّـاسْ

* * *

وحدي في مقاعدِ النظّـاره
أرتقِـب النبيّ والبشاره

الخرطوم – ١٩٦٦

# المفاجآت

يفجؤنا الموتى ..
فيبتسمونَ مثلنا
ويحلمون مثلنا
بالريح والمطرْ

* * *

يفجؤنا الموتى
الذين غادرونا فجأةً إلى بعيد

بزورة إلى قبورنا

هذا على ظهر جواده السماويّ

يخوض في دمائنا

محتضناً درقته ، ممتشقاً حسامه

معلَّقاً في فمه

بقية ابتسامه

وغارساً في فجوة الصدر

وساماً من حديد

وذلك الملائكيُّ الأصفر الخجول

يجيئنا منكس العينين في ذهول

ثم يعود دون أن يقول :

ــ لو أن كل ميِّتٍ

يموت من جديد

فإنني وحيد

في زحمة الموتى أنا وحيد

* * *

يفجؤنا الموتى مساءً

حين يغسل السكونْ

السور والحديقة السوداء حولنا

وترقد الرياح فوق العشب والشجرْ

وفي الصباح ..

حين يسقط الوشاحْ

فجأةً عن ابتسامة القمر

يعود موتانا

قوافلاً إلى ديارهم

* * *

يفجؤنا الموتى

ولكنّ المطر

يُهبّ دائماً على آثارهم

* * *

يفجؤنا المطر

وهو يغطّي بيديه العشب والشجر

حتى كأنّ قدماً واحدةً

لم تتنقل لحظةً واحدةً

هنا ..

ولم تترك على الأرض أثر !

**الخرطوم — ١٩٦٦**

# رجل وامرأة

شمسيَ في خُطايَ
ثم ابتلعت عواءها الجريحْ
واصطفق الباب وراءها ..
وهبّت ريحْ
ومر ظلا رجل يجذب ساعد امرأه
وخيم الرماد فوق المدفأه

* * *

شمسي في خطاي

قالت ومضتْ

في كبرياء مَلِكهْ

مهزومة مرتبكه

قاسية ومضحكهْ

تمقتني ..

لأنها تعلم أنها امرأهْ

وأنني واحزني

قد طالما توّجني

جمالها الأليم

وردني

سحابةً ملء عيون وطني

تضحك للأطفال والنجوم

* * *

لكننا لا بأس بالهموم

الآن يا سيدتي وأبدا

لا بأس بالرّدى

حيث تحجر الأنين والصدى

على جوانب الطريق

وحيث يحدودب ظهر عالمٍ عتيق

يوقد ناره سدى

* * *

عبر سماء مقلتيك

السحب والرياح واقفه

سفائن موشكة أن تقلعا

فلنختبىء ..

قبل سقوط العاصفه

كي لا تفاجئين بي محدقاً

فيك .. أنا الجمال والقبح معا

ثقيلة مثل رخام القبر

هذي الأقنعه

ثقيلة وموجعه

مثل رخام القبر

مثل رياح العصر

الخرطوم - ١٩٦٧

# ياقوت العرش

دنيا لا يملكها من يملكها

أغنى أهليها سادتها الفقراء

الخاسر من لم يأخذ منها

ما تعطيه على استحياء

والغافل من ظن الأشياء

هي الأشياء !

* * *

تاج السلطان القاتم تُفّاحه
تتأرجح أعلى سارية السّاحه
تاج الصوفيِّ يضيء
على سجّادة قشٍ
صدقني يا ياقوت العرش
أنّ الموتى ليسوا هم
هاتيكَ الموتى
والراحة ليست
هاتيكَ الرّاحه

* * *

عن أيّ بحارِ العالم تسألني يا محبوبي
عن حوت
قدماه من صخرٍ

عيناه من ياقوت

عن سحبٍ من نيران

وجزائر من مرجان

عن ميتٍ يحمل جثته

ويهرول حيث يموت

لا تعجب يا ياقوت

الأعظم من قدر الانسان هو الانسان

القاضي يغزل شاربه لمغنّية الحانه

وحكيم القرية مشنوق

والقردة تلهو في السوق

يا محبوبي ..

ذهبُ المضطرِّ نحاس

قاضيكم مشدود في مقعدد المسروق

يقضي ما بين الناس
ويجرّ عباءته كبراً في الجبّانه

* * *

لن تبصرنا بمآقٍ غير مآقينا
لن تعرفنا
ما لم نجذبك فتعرفنا
وتكاشِفنا
أدنى ما فينا قد يعلونا يا ياقوت
فكن الأدنى
تكن الأعلى فينا

* * *

وتجفُّ مياه البحر
وتقطع هِجرتها أسراب الطير

والغربال المثقوب على كتفيك
وحزنك في عينيك
جبال
ومقادير
وأجيال
يا محبوبي لا تبكيني
يكفيك ويكفيني
فالحزن الأكبر ليسَ يقال

**الاسكندرية – ١٩٦٦**

# مقاطع فلسطينية

ليبقَ كلُّ بطلٍ مكانهْ
ولتُصعقْ الخيانهْ
ولتخرُس الرجعية الجبانهْ
فالشعب سوف يغسل الاهانهْ

* * *

دوَّى نفير الثأر
يا جراحَ عشرين سنهْ

نجمةُ إسرائيل فوق المئذنهْ

فمن إذن يا وطني !

ينهض للصلاه

بينما حوافر اليهودْ

تدوس سقف المسجد الأقصى ..

وخوذاتُ الجنودْ

تُظلل المطران والعابدَ والشمَّاسْ

وتسجن اسم الله

وتركلُ القداس

ومن إذن يا وطني !

يغمض عينيه على تدفق الأجراس

* * *

بيرقكِ الأحمر ما يزال يا قلقيليه

يخفق فوق جبل النار

ويعلو صامداً على رماد الأبنيه

بخٍ .. بخٍ .. أيتها العروس

في جلوتها مخضوبة اليدين بالحنّاءْ

بخٍ .. بخٍ يا شهداء

وليبكِ غيرنا على قتلاه مثلما يشاء

لتبكِ تل أبيب

صيفها الذي خيّم حيناً والتهب

فقد تشقّقت حوائط السلاح والذهب

وانعقدت إرادة العرب !

* * *

مَن ذلك المشدود للحائط

مثل قلعةٍ مسلحّه

عيناه صخرتان في ساحلك العظيم
تصارعان الموج والرياح من قديمْ
يداه حارسان من رابية لرابيه
نظرته فوق رؤوس قاتليه
ضحكةٌ مدوِّيه
شموخه جيش كثير الألويه
مَنْ ذلك المشدود للحائط
مثل قلعة مسلّحهْ
تقاوم الغزاة في إصرارْ
حتى إذا ضاق بها الحصار
وضرَّج الأفْق دخانُ المذبحهْ
قاتلت القلعة من دار لدار

* * *

شوارعُ القدس الالهيه

تصفر في أرجائها الريح الرماديّـه

وعطر راشيل اليهوديه

.. وتستحم الأرض بالدماء

حيث مشى الأنبياء

**الخرطوم – ١٩٦٧**

# سقوط دبشليم

# سقوط دبشليم

## قصيدة طويلة

« وإنك أيها الملك السعيد جده .. الطالع كوكب سعده ، قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ، ومنازلهم التي كانت عدتهم ، فأقمت فيما خولت من الملك ، وورثت من الأموال والجنود . فلم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك ، بل طغيت ، وبغيت ، وعتوت ، وعلوت على الرعية ، وأسأت السيرة ، وعظمت منك البلية .. »

**بيدبا الحكيم**

**( من كليلة ودمنة )**

# صلاة قبل الأفول

الريح في شوارع المدينة المائلة الشرفاتْ
تدحرج الطبول
والقمر القديم شاحب الرؤى
يحلم بالأفول
يا ريح ما الذي أقول
لو أنّ ذاك القمر القديم مات
ما الذي أقول ؟

# ايقاعات قديمة

ومعانق الأجداث رغم تفسّخ الأجداث أعمى

يمشي إلى أقداره ، ويموت قبل الموت همّا

والضعف إنسان يرى في الماء صورته فيظما

وأحقُّ هذا الخلق إشفاقاً به ..

وأشدُّ وهْمَا

من ليس يعرف أنه مغمىً عليه

وهو مغمى

# الافتتاحية

وقال بيدبا :

ـ اللصوص اقتحموا حواجز الميناء
وحطّموا سارية السفينه
وسرقوا كنوزها الثمينه
ولم يزل قبطانها يضرب في أزقّة المدينه
يبحث عن منظاره القديم
.. تلك هي الرواية التي
أرى فصولها يا دبشليم

# سكون

لا بأس فلنبكِ قليلاً ربما طهَّرنا البكاء

نحن الذين اختنقت على شفاهنا إرادة الألم

نحن الذين لم تزل ترفُّ فوقنا بيارق الندم

لا بأس أن نطاطىء الرؤوس بعض الوقت

وأن نلوذ ساعة بالصمت

فالنصر قد يكون في الهزيمه

والعدل في الجريمه

# الرؤيا

وغامت الآفاق فجأة ، وأظلم النهار
وأسقطت أوراقها الأشجار
ورقصت هيا كل الأسماك في البحار
والتقت الوجوه بالوجوه
والأقدار بالأقدار
وأنكر ابنه أبوه .. ثم سار
مولولاً .. ثم تيقّظت ..

فقال بيدبا لدبشليم :

ـ المرء دائماً وما يختار

وحولك الحجّاب والحرّاس بالآلاف

ثم تخاف !

أهذه خاتمة المطاف ؟

# داخل السرير الملكي

ـ أخائفٌ أنت ؟

.. وهبَّ دبشليم مغضبا

وقال بيدبا :

ـ تنام يا مولاي مهموماً ، وتصحو متعبا

وآعجبا

تلبس تاجاً من ذهب

وجبّـة من الحرير والقصب

# الذين يجيئون ...

- هم يشبهون السيل

قال بيدبا الحكيم :

وكان وجه الملك الجليل دَبْشليم

ياقوتة ترجف في خــــاتمه القديم

- ودائماً كالعرق الذي على جباههم

يبتسمون

ويركضون

وإذ يشاءُون يشاءُون ويقدِرون

ودائماً ينسى الملوك

دائماً يهوي الصَّدا على الصّدا

ودائماً يجيء سيلُهم ..

لأنهم لا يقفون أبدا

يا دبشليم الحقُّ صوت الله

وكِلْمة الحق هي الحياه

فلا تضق ذَرعاً

إذا تحركت بها الشفاه

## حوار ...

تقولُ لي يا دَبشليمْ

وابتسامة الغضب

تنصِب ما بيني وما بينك

جسراً من لهب

ـ أطبق فمكْ

حكمة هذا العصر أن تطبق عينيكَ

طويلاً وفمكْ

# المعركة ...

أرضكَ ظمأى ..
والخريف شح هذا العام
والمتسولون يزحفون ، والأقزام
يعربدون في حطام المملكه
يا ملِكاً متوجاً على حطام
يا قائداً بغير معركه
هذا أوان المعركه

# وصية الشاعر القديم

لولا حيائي منكَ ، لولا خشيتي

لقلت لكْ :

السمُّ في كأسك ، والخِنجر في العباءهْ

يا أيها الجالس خلف الحجرة المضاءهْ

على جلالكَ السلامْ

.. وأوما الأمير للسياف : يا غُلام

أطِح برأسه ..

وضاعَ الصوتُ في الزِّحام

* * *

وآعجباً يا سيدي

كأنما أغوصُ في حلم من الأحلام

فإنني كنت نصحت منذ ألفِ عام

متوَّجاً مثلكَ

ـ ما أعدله وأعدلك ! ـ

لكنه ازدرى نصيحتي

ازدراني ..

وبقيت ..

بينما هلكْ ..

# العميان والجريمة

وقال بيدبا :

ـ المهرِّجون يضحكون والجثة فوق المشنقهْ

كرايةٍ قديمةٍ معلَّقهْ

والشمس يكسوها المشيب في السَّمَا

يا دبشليم ربما

نُفتِّح العيون مبصرين بينما

قد شبعتْ أغوارها عمى !

# السقوط

وقال بيدبا :

ـ سألتني عن السقوط مرَّةً .

فإن تكن لا زلتَ مصغياً إليَّ

أيها الملك

ها أنذا أقول لك

ـ يسقط بعضهم

لأنه يَرى ولا يَرى

ويسقط البعض ..

لأنه يسير القهقرى

وشرُّ أنواع السقوط مَرضا

هو السقوط في الرِّضا

# ايقاعات حديثة

أسامعي يا دبشليم ؟

الفجر مثقوب الوشاح وابتسامة الشَّـفق

مصفرَّةٌ .. ونحن والغيوم شاهدانِ

تحت قُبَّـة الأفقْ

أسامعي ؟

أكاد أن أشُـمَّ نفس الرائحه

أكاد أن ألمس باليدين وجه البارحه

# كتابة منسية

أعلم أن الموت حقّ ، والحياة باطلهْ

والمرء لا يعيش مهما عاش إلا ليموت

وكل صرخة مصبّ نهرها السكوت

وأروع النجوم هاتيكَ التي

تضيء دربَ القافله

حين يغطّي العشب ذكرياتنا

وتشهق المأساة في البيوت

# السؤال والاجابة

بأيّ سيفٍ أقهر الطغيان ؟

قال بيدبا :

ـ بسيف الضعفاء كلهم

ـ بأي نار أُحرِقُ الأكفان ؟

قال بيدبا :

ـ بنار فقرِهم .. وذلّهمْ

ـ بأي شيء أصنع الإنسان ؟

# المخاض

في الأرض ثورةٌ ، وفي السماء

ثورة يا دبشليم

الأرض تطحن النجوم

والريح تمضغ الغيوم

فكيف تستعذب نوم العينْ

وأنت بيْـنَ بينْ !

قال بيدبا :

– تصنعه إذا سقطت واقفاً من أجلهم .

# قاع المدينة

---

وقال دبشليم يا حكيم :

ـ حدّثني عن ماء يلوح راكضاً وهو أسِنْ

وعن شعاع في منازل النجوم يحتقنْ

فغاب بيدبا هنيهةً .. وقال :

ـ إنما همُ الرجال حين يأسنون

يأسنُ حتى النور

والحب والسرور

وقال بيدبا :

ـ وقوَّةُ الحياةِ أنها ترفضُ

إلا أن تكونْ

أُغنيةً في قلبِ فنَّانٍ

وأطفالٍ سيكبرُونْ

## أصواتهم ...

فيَ مجدِكَ العالي الذي ساقته
دنياك إليكْ
أطِلَّ لحظةً ، فقد أتوا يُطلّون
عليكْ

ـ ها أنتذا تسقطُ بين العقـلِ
والجنونْ

كمثلِهم سخِرتَ من عذابنا

كمِثلهم غدوتَ صخرة ونحن سائرونْ
كمِثلهم نسيتَ يا مليكنا
أنك ميتٌ ونحن خالدونْ
في مجدكَ العالي الذي تملأ وجهه
الغُضونْ
أتوا يغنُّون بلا شوقٍ ويرقصونْ

# حفار القبور

.. وعضَّ حفَّار القبور شفتيهِ

حسرة وضجرا

وهو يقلِّب العيون في تجاويف الثرى

ـ ويوم أن أموتَ

من تُرى يشمُّ جسدي

ومن يكون شاهدي

غداً .. إذا ما الناس ماتوا

والغراب ماتْ

وآضيْعتي مِنْ أجلِهمْ
أنا الشقيُّ آخر الأحياء والأمواتْ

# الدرويش

وبصقَ الدَّرويش في جُبَّته وقال :
ـ وحين أغلقنا عليه خشبَ التابوتْ
كان يقول الله ربي
الله حيّ لا يموتْ
كان يحب الله .. كان يتَّقيهْ
في نفسهِ .. وفي ذويه
وكان يخشاه .. ويستحييهْ

مولايَ ..

لو أنك أبصرت جلال الله

لسارت الجبال من خلفك والمياه .

# حجر في الطريق

قهقهةٌ يا دبشليم ؟ أم عويل
امرأةٍ تعانق ابنها القتيل
تلمس عينيه طويلاً وفمه
تشم شعره .. تهزّ معصمه
ثم تصيح مُعتمه
– يا ولدي قل كلمه
.. ويضمحل وجهها

عَبْر توهج الذهول

ويتلوى شجر النخيل

محتضراً ..

وتغرق ابتسامة الأصيل

في عمق نهر النيل

# البومة والطاووس

وقالت البومة للطاووس :

ـ لولا صورتي الكريهة الدميمه

ما كنتَ تمشي الخيلاء معجباً

بريشِك الجميل

فابتسم الطاووس ضاحكاً وقال :

ـ صدقت يا سيدتي الحكيمه

فكبرياء الكبْر تعني قمة الذّلة في الذليل

وكثرة الكثير ، قلة القليل

# الانسان والحقيقة

أكتبُ عن عصرك كيف انطفأتْ ..

روعته وكيف

تعرجُ ساقاه ، وتهرمانِ

كل لحظة تحت ثلوج الزّيف

أكتبُ عن عصركَ ..

قال بيدبا ، والسيف يبكي في عناق السيف

ـ وباطلٌ عصرك ، ناره سجينةٌ

وشمسه غريقه

والشِّعر وحده هو الإنسان والحقيقةْ

# خلود !

لا الحزن ُيجديكَ ، ولا الحلم ، ولا التمني
لا رقصة المهرّج الأعمى
ولا تهافت المغنّـي
أقفرت الحياة في جنبيكَ
واستغلقت الأشياء
فابقَ طويلاً مثلما تشاء
لو كان يحلو في سرير ميّـتٍ طول البقاء

# الدينا صور !

أكتب عن عصرِك ..

عصر الغضب الميت ، عصر الضحك المتهور

عصرك يا مولاي

حيث تركض الخيول في القماقم

وتسكن الغِربان في العمائم

حيث يهب فجأة من ظلمة العصور

الدّينا صور

# آخر المهزلة

أكتب عن عصرك

أبني لك في شعري قبراً من ذهب

ترقد يا مولاي من أفراحه في مهرجان

تصبح فرعون الذي كان وكان ..

ومثلما جاء ذهب

إلا بقايا حنطةٍ

ومومِياء مَلك

وظل صولجان !

# الغثيان

تَباً لعصرٍ تمطر السماء فيه
ـ قال بيدبا لدبشليم ـ
جرذاناً وأغربه
وتلد الرجالُ فيه
ويعانون من المحِيض
ويلتقي النقيض بالنقيض
وتستمد القبب المذهَّبه

طلاءها اللماع
من أعين الجياع

# أشباح مجهولة

---

أغلقت الحانة أبوابها
واحدودب الساقي ، ومات النديم
فاجترّ أحزانك يا دبشليم
قطتُنا السوداءُ قد أسقطت
أبناءَها أمس
وكلب الحكيم
ظل طوال الليل مستيقظاً
ينبح شيئاً غامضاً في النجوم

# المشهد الأخير

ليلٌ مَدرايّ ، وظل قمرٍ ينهارْ
والملكُ الغارق في الرموز والأسرارْ
منطرح على سرير ملكه ، والدم والنضّار
يخضّبان ردهات القصر ، والثوار
ذوو الشُّعور البيض يركضون فوق السور
وفجأة يا دبشليم يسقط الستار
ويبصق الجمهور

# البطل والثورة والمشنقة

# البطل والثورة والمشنقة

الآن يا شيخي نحن اثنان

أنت وأنا

يا ويلتنا . . أغلقت الريح الدروب خلفنا

وانقسم الانسان شطرين

كما لم يشأ الانسان !

**محمد الفيتوري**

# يوميات رجل مقتول

عربات الموتى المذْهبة الصفراء
تدوس على قلبي المخضوضر .
تغرس فيه حوافرها
ذات الوهج السوداء
والقتلى يبتهلون بأوجههم ..
يبكون
تصفّق أيديهم

# اعتذار

وقال بيدبا لدبشليم :

ـ يا مولاي معذره

لكل ما تحجبه الستائر المعطره

وكل من يحمل بين راحتيه مبخره

معذرةً .. وألف ألف معذره

للنصب الأنيق فوق المقبره

فالموت كان الفجر

والطريق كانت مقفره !

يتحشرج فيهم شيء ..

تهبط عاصفة ..

تتساقط فوق مراياهم رمل الصحراء

ـ القاتل أنت

ـ القاتل نحن

ـ القاتل من؟

لا ترفع سوطك في وجهي ..

سأشير إليك ..

سأرفع مطرقتي ..

كفي المدفونة تحت ثرى سيناء

أتسمعني ! سأشير إليك

فانت .. وأنت ..

أنزع هذا الدرع الذهبي ..

أخلع هذا الوجه الخشبي
تحطم عصفا كالتمثال ..
تجرد من وهج الأشياء

* * *

الآن أحدق في عينيك
أنا المقتول
أعلق راياتي المهزومة
فوق مدائنك الخرساء !

# الله يا شيخي انا

– ١ –

.. وسقط الحزن على حديقتي .. وسقط
التراب

أسود يا شيخي ، مثقوب المرايا
سقط الحزن الذي تعرفه ..
وسقط التراب
وسرت يا شيخي ..

عيناي سحابتان .. نجمتان من رخام
طفلان ضائعان ، يركضان
عبر ردهات الريح والظلام
قيدانِ في وجهي ..
يقيِّدانني إليك
ويغرسانني شجيرةً حزينة عليك

- ٢ -

الآن يا شيخي نحن اثنان
أنت وأنا
يا ويلتا .. أغلقت الريح الدروب خلفنا
وانقسم الانسان شطرين ..
كما لم يشأ الانسان

الموت ليس الموت ..
والحياة ليست الحياة ..
والزمان ، والمكان ، والانسان

- ٣ -

تضحك يا شيخي ..
مسكين أنا بعدك
أرضي مومياوات ، وآفاقي ثقوبْ
تضحك يا شيخي ..
على جريمة الصالب أم براءة المصلوب
تضحك يا شيخي ..
تُرى لأن الحب ذات ليلة
مزّق بعض ثوبه ، في حضرة المحبوب

- ٤ -

الله يا شيخي أنا

حين تعانقنا عناق الموت

كانت رايتك

خضراء .. والنور قباب

والدفوف أجنحه

والفقراء إخوتك

يقتحمون اللهب الأحمر فرسانا

فينهار رماداً تحتهم ، وهم وقوف

الفقراء حاملو السيوف

إخوتك ..

كانوا إذا المعركة اشتاقت سيوفها

هم الدروع والسيوف !

- ٥ -

الله يا شيخي أنا
لبيرق يشهقُ في عينيك مصفرّاً
وإبريق نحاسيٍّ قديم
تنبض في صفحته الآيات والرسوم

القاهرة ١ / ٤ / ١٩٦٩

# موت الملك سليمان

- ١ -

لو أن هذا الجسد المُلقَى على كرسيِّه
مال قليلاً
لاستيقظت من نومها مدينة النحاس
واستغرق الحراس
في البكاء والضحك
فزائر الموت الذي زار سليمان الملك
كان ثقيلا

وسليمان الملك

مات طويلا !

- ٢ -

خمسون ألف مارد

ينتظرون الأذن بالمثول

تسعون ألف حارس

يرقب عرس الشمس في ذهول

والشمس في معارج اكتمالها محتجبه

تغسل جدران المدافن المذهبه

وعرس بلقيس الجميلة المعذبه

والمدن الكبرى التي

تسقط تحت عجلات المركبه

– يا دورة الزمان ، يا أيقونة المكان
ما أقبحنا جميعنا ، وأجملك
وما أشد نقصنا ، وأكملك
وأفضلك
وأنبلك
وأعدلك !

## – ٣ –

– يا امرأة ! الطفل لمن ؟
– بعض دمي
وأنتِ ؟
لو كان هذا الثديِ فمْ
لساد صوت العدل

واستغلق منطق الحكم

ـ ما دمتما واثقتين ..

اقتسما الطفل إذن !

ـ يا سيدي .. هل قلت ؟

ماذا قلت ؟ هل حقيقة أنت ترى

جبينه نصفين

وقلبه نصفين

ـ يا سيدي رحماك ..

ثم انطفأت في الأفق

شمس الملك الحكيم مرتين !

ـ ٤ ـ

يحلم حتى يسمع النجوم

وربما مضى بعيداً .. وهو باقٍ بيننا
لجهلنا نحسبه روحاً سجيناً مثلنا
لشدَّ ما تمسخنا الهموم
لشدّ ما يمسخنا النسيان
والنسيان عاده
والموت عاده
.. وناح آصفُ ، وغاصتْ
دودة في عرشها
وقفزت جراده
وسقطتْ جراده
وانفجرت دويبة الأرض من الضحك
حين تهالكت فجاءةً عصا الملِكْ

* * *

أكان مجنوناً ؟

أكان عاقلاً ؟

أكان قديساً ؟

أكان قاتلاً ؟

القاهرة : ٣ — ٢ — ١٩٦٩

# ورقة على سطح القمر

وهبطتُ .. لم أهبط على أرض ..
هبطت على فضاء
ومضى يعانقني ..
ويجهش فيّ ، شيء كالبكاء
الذكريات تشدني يا أرض نحوك ..
أين سيدك الذي
جفت على شفتيه آثار الدماء

الآن صوت الخوف أعمقْ

غربة الانسان أعمق

من يناديني ؟

اقترب

لا شيء ثمةَ ..

تولد الأشياء كي تتحلل الأشياء

إني جئت ..

أعشاب المدارات القديمة في دمي ..

كانت هنا دنيا أكاد أرى معالمها ..

المدائن .. والمدافن ..

والموانيء والبحار ..

الناس في الأسواق ما زالوا

الخطى المتقاطعات ..

الباعة المتجولون

ذوو الزجاجات السميكه ..

يثقبون الأفق بالكلمات

ثم يحدقون ، ويشهقون

« العدل ثوب طالما أبلته

أجساد القضاه »

ويرصد العراف نجم الطفل

والشحاذة الكسلى تعد نقودها ..

ويطل من خلف المغارات

اللصوص الملتحون ..

حضارةٌ ثم اضمحلت ..

طالما عاشوا .. استباحوا ..

ضاجعوا .. عشقوا .. استراحوا ..

أحرقوا .. احترقوا ..

تساقطت التواريخ ..

التوابيت المذهبة ..

الرسوم .. الزهرة ..

القوس .. الشعار ..

هم فوق ما تتمثل الرؤيا

وما تحكي فجيعة الانتظار !

* * *

سأسير وحدي

مات سحر الساحر الوثني ..

كان الساحر الوثني يوقد ناره ..

في كل أمسية ، وكان

يصفف الأزهار فوق موائد الشعراء

والموتى ..

وكان يتوج العشاق

ثم يشيح مفتوناً

بروعته عن العشاق

* * *

سوف أسير وحدي

ماتت اللغة التي عبقت بها الأفواه

يا باب الغد القمري ..

إني جئت باسم الشعر ..

باسم الحب ..

باسم الله ..

القاهرة ١٢ – ٣ – ١٩٦٩

# الهياكل

.. وكانت الهياكل العتيقة المقوسه

ذات العيون الغائرات الشرسه

والضحكات التعسه

واقفة في الريح

تلقي على التاريخ ظلها القبيح

* * *

ـ ميتة أنت فموتي

هكذا صِحت بها .. فابتسمتْ

وغمغمتْ

ـ لا تسرقي أقنعة الأحياء..

لا تبتسمي

تجهمي .. تحطمي

فحدقت .. وشهقت ...

واستغرقت في حلمها الكسيح ..

كأنما أسكرها الثناء والمديح

* * *

ـ أحرى بكِ المعول والحفار والضريح

موتي .. اخجلي

تساقطي .. تحللي

إنكِ عاري ..

عار أرضي ..

أمتي .. مستقبلي ..

عار على من يحرث الحقل ..

ومن يحصده ..

أن يضفر الصوت لمن يجلده

عار على من يحفر اللحد ومن يلحده

أن يقتني طاغية يعبده

* * *

لكنما الهياكل الخرساء لم تُجب

وبرقت مثل النجوم الأوسمه

على الصدور المظلمه ..

وبرق الذهب

وأجهش التعب

وقهقه العذاب والغضب

ـ عار على الرجال

عار على الأجيال

عار على كل البشر

أن تظلمي يا ليبيا ..

وثَم إنسان على ظهر القمر !

* * *

وفجأة توهج الحزن الذي عاش سنينا

فإذا الحزن حريق ..

يركض في مضيق

يلتهم الأوثان

والموتى الذين نصبوا الأوثان في الطريق

**طرابلس – ليبيا : ١ – ٩ – ١٩٦٩**

# الجثة

من صاحب الجثة ملقاة

على قارعة الطريق ؟

تدوسها العيون والهجير والنعال

من يعرفه ؟

إني أكاد أعرفه

لكنه ليس هو الخائن

فالخائن حيٌّ ..

والحريق

ما زال في اشتعال !

٧ — ٤ - ١٩٧٠

# المقتول يدفع الثمن

- ١ -

بطيئة عقارب الساعة

أفواه الشهود .. أصوات القضاه

بطيئة .. باردة الجبين والشفاه

الكلمة ، الانسان والإله

- ٢ -

لو أن عيسى عاد

لكان غطاها بثوبه

ولو أن محمداً ..

لسلّ سيفه مهاجراً لربه

وآه لو رأى الحسين مرة

محرابها المفجوع

لجاءها مستشهداً ..

وفي يديه رأسه المقطوع

- ٣ -

صهٍ .. صهٍ

كأنما أسمعها كأنما تئن

أقسم يا سيدتي القتيلة

العارية البدن

لست أنا القاتل ..

لا وجهي .. ولا صوتي ..

لست قاضي المدينة الكبرى

ولا شاهدها العادل

أنا الذي أموت مقتولا

على بابك كل مرةٍ

حين يجيء السادة القراصنه

على سفينة غريبة ..

فيفسقون في كنيسة ..

أو يهدمون مئذنه

أنا الذي قتلت في سيناء والقدس

ولم أزل هناك أنتظر

أنعس في ضوء الفوانيس ..

وأصحو في الرياح والمطر

أنظر في بطءٍ إلى عيون قاتَليّ
ساخراً وأنتظر ..
وربما اخضوضرت خلف ورق الشجر
وربما حلمت أن ذلك الحلم
الذي سوف يجيء
قد جاء ..
فاسترجعت ذاتي ..
ورفعتُ نحوهم سبابتي متهما ..
وفجأة يبطىء بي الحلم ..
فأرخي إصبعي ..
أحك ذقني خائفاً مستسلما
أهز منكبي حائراً أو نادما
أعود مسكينا ، مهرجا ، أو صنما

- ٤ -

بطيئة أيتها السيدة الفخمة
تهبطين ضوءاً أسوداً في الساحة الحمراء
في البيوت ، في العيون
كل امرىء يحمل فوق راحتيه وطنه
أو كفنه
فالغد يا سيدة الرهبة والسكون
قد لا يكون !

- ٥ -

حين يسودُ الرعب والوهن
ويبطىء الشهود والقضاة والزمن

ينفلت القاتل ..

والمقتول يدفع الثمن !

١٥ – ٢ – ١٩٦٩

# القمر والحديقة

---

كان قلب الحديقة يركض

مختبئاً في الظلام

والحديقة أرخت ستائرها كي تنام

وتدلى القمر

ذلك العاشق الملكي محبُّ السهر

ومضى يتسلق سور الحديقه

كان نصف إله ، ونصف بشر

كان كل العذاب ، وكل القدر

.. وأطلت عليه عيون الحديقه

عارياً داهمتْه عيون الحديقه

ـ يا قمر

عارياً يا قمر

أعمق الحزن حزن الحقيقه

* * *

واستحال القمر

حجراً ميتاً تحت سور الحديقه

الخرطوم ـ ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٦٨

# وثيقة من العالم الآخر

ها نحن تقابلنا .. لم تمتدّ الأيدي ..

لم تبتلّ الأجفان

لم تنسج فينا الغربة شيئا ..

يا من ليس لك اسم ..

إلا تلك الأشباح ، الأقنعة ، الجدران

في أرض مدينتنا ، في كل مكان

تولد طفلاً مجهولاً ، حوذياً ، قديساً ،

بطلاً ..

تغدو وجهاً مقتولا ، نعشاً محمولا

ريحاً ، جبلا

ـ من أنت

ـ تسائلني من أنت

ـ كأنك لم تقتلني بعد

ـ كأني لم أقتلك

ـ بلى

في أرض مدينتنا ..

في منتصف الليل الممتد على الصحراء

وغاصت أقدام الموتى في الرمل،

وحوّم طير طقسي،

وتداخلت الأرقام ، الأيام ، الأسماء
وتساقط ليل ..

* * *

– أخلع هذا الجلد الميت
– لا وجهك ، لا شفتاك الكاذبتان ،
ولا العينان ..
لكن الخنجر في كفيك ..
الخنجر في عينيك ..
المقبض من ذهب ، والنصل حريري ..
والخوف ، الضعف يدانْ

* * *

هذا هو خنجرك الدامي أوتنكره

مخبوء في طيات ردائك ، هل تتذكره ؟

* * *

كانت أرض تبكي ..
تنهار بيارقها وحدائقها ..
وطريق شتوي بارد
ونساء عارية ترتد حقائقها ..
ورجال مجهولون
وضوء من نجم صاعد
والأفق تماثيل ودمى
وقُـتلت على عينيك أنا الشاهد
ـ لِمَ عدتَ

* * *

ـ القاتل مقتول قبلي
ـ لِمْ مُتَّ
الشاهد مسئول مثلي

١٧ ـ ٢ ـ ١٩٦٩

# اغنية جوفاء !

نحن العرب ..
أجدادنا كانوا ملوك العالم القديم
حيث الرؤى والشعر يسبحان
في مجدهما الأليم
حيث الخطى المستكبرات ..
لم تزل تبتعث الرعشة ..
في أقبية الماضي العظيم

* * *

نحن العرب ..
عنترة العبسي فوق صهوة الفرس
يصرخ في الشمس فيعلو الاصفرار وجهها
وترجف الجبال رهبة ، وتجمد السحب
لأنه قهقه أو غضب
لأنه ثرثر أو خطب
لأنه النار التي
تفرخ ذرات الرماد والحطب !

* * *

نحن العرب
المعجزات والنبييون وأرباب البيان
منا ..
ولولانا لهانت عبقرية الزمان

تاريخنا العملاق ما أروعَه وأعجبه

ووحدنا في الحلبه

وإن أردتم فاسألوا

الأحساب .. والألقاب ..

والأضرحةَ المذهبه !

٥ - ٣ - ١٩٧٠

# الى الأخطل الصغير

قف خشوعاً .. واخفض الرأس

فقد أشعل الموتى القناديل

وقاموا ..

والذي تبصره عيناك

في ذلك الضوء الرماديِّ زحامُ

والذي يسقط من أقدامهم

هيكل رث البقايا وحطام

عادت المعجزة الكبرى ..

فللموت رغم الموت ـ بدء وختام

فتعلم كيف تحيي أمة

نسِيَتْ أن البطولات اقتحام

أن أرض الحر مهما اغتربتْ أرضُه

فهي على الغير حرام

أن تاريخاً مشت في ظله

قدم الطغيان تاريخٌ مضام

يا أمير الشعر أغضبها ..

فقد تُخصبُ الروحُ ، وتخضَرُّ العظامُ

ولقد ينفض عنه كفن الصبر

شعب ثأره ليس ينام

ولقد يستلُّ يوماً سيفه

ذلك العدل الجريح .. الانتقامُ

* * *

أمةٌ يثقب من رايتها

كلما امتدت على الأفق انقسام

وحزيران على أبوابها

لعنةٌ تغلي ، وعارٌ ، واتهامُ

بعثروها .. مزقوا وحدتها

فهي سودان ، ومصر ، وشآم

ونسوا أن النواقيس غداً

تتنادى ، والموازين تقام

ونسوا أن الضحايا أبداً

نارها فوق الملايين ضِرام

* * *

أنت في لبنان ..

والشعر له في رُبى لبنان عرشٌ ومُقام

شاده الأخطل قصراً عالياً

يزلق الضوء عليه والغمامُ

وتبيت الشمس في ذروته

كلما داعب عينيها المنامُ

* * *

أنت في لبنان ..

والخلد هنا ..

والرجال العبقريون أقاموا ..

حملوا الكون على أكتافهم

ورعوا غربته وهو غلامُ

غرسوا الحبَّ .. فلما أثمر الحبُّ ..

أهدوه إلى الناس وهاموا ..
غرباءً .. ومغنِّين ..
وأحلى أغانيهم على الأرض السلامُ

* * *

أنت في لبنان ..
والجرح كما كان يا لبنان ..
والنار ضرامُ ..
وفلسطين التي كانت لنا
سورةً تُتلى، وقدّاساً يقامُ
وشيوخاً تذكر الله ..
فملء المحاريب صلاة وصيامُ
ونبيين صفت أرواحهم
فلياليهم سجود وقيامُ

كان بيت الله قُدسيّاً بهم
قبل أن يأتي على القدس الظلامُ
وأتوا .. يا كبرياء انتفضي ..
وانتقم يا جرح .. واغضب يا حسام
قل لهم ان صلاح الدين قد عاد
والمهدي والأنصار قاموا
وصحا الموتى الفدائيون ..
فالأفق الشرقي نارٌ وقتامُ
قل لهم عودوا إلى هجرتكم
ففلسطين هي الأرض الحرام
قل لهم ان المدى متَّسِعٌ
بيننا .. والحرب دين والتزامْ
فأقيموا كيف شئتم

إنما نحن أو أنتم عليها يا لئام

* * *

يا أمير الشعر ..

والشعر رؤىً نبويّاتٌ عليهن لثامُ

واقفٌ منك أنا في حضرةٍ

هي كالبحر اصطخابٌ وارتطام

كلما جئت كستني رهبةٌ

فأنا صمت خجول .. واحتشام

أدنوّ منك .. والدرب ازدحامُ

وتناءٍ عنك .. والشوق التحامُ

* * *

مثلنا السفن الغريباتُ ..

إذا الريح جدران على الأفق ضخامُ

وتصايحنا ..

ولكن الرؤى انطفأت

وانهار في الصمت الكلامُ

بيروت ٢٥ / ١٢ / ١٩٦٩

# الرجل الذي ظهره للحائط

---

- ١ -

من أجل من أموت ؟

قالها .. وحشرج العذاب صوته ..

ومات في عينيه حقل من سنابل

كان كمن يستل خنجرا

على جثة قاتل

مِنْ أجل مَنْ ؟

أعانق النار قتيلاً .. وأقاتل
أنا الذي لا أرض ، لا وطن
لا وجه ، لا زمن
لا مجد ، لا ثمن
من أجل من ؟

- ٢ -

تبصق في عيني عيناك ..
أنا الهارب ..
حدِّق فيهما كما تشاء
قل انني جُبنتْ
قل انني ضعُفتْ
أبكِ على أني وُلدتْ

أرفع يديك راعش اليدين للسماء
هيهات لو فتشت في روحي ..
في دمي ..
فلن تلقى سوى الرفض والازدراء

- ٣ -

أمقتكم جميعكم ..
لا تتوسل عبثاً .. لا تبتسم ..
ضحكتك الجرباء ..
لا تملؤني إلا احتقاراً لك
صخرة أنا فلا تنادي
إني أُدينكم جميعاً أيها المهرجون
لست أستثني ..

فباسم مجدكم كسا الحداد أمتي ..

وفي غبار خيلكم ضاعت بلادي !

- ٤ -

ذات صباح فتحت أيديكم البابَ لهُ

ثم تساقطت وجوهكم

بخوراً حوله

ثم لعقتم يده ونعله

ثم صفقتم خشب الجسر الذي استقله

ثم غدوتم العدو

بعضه وكله ..

## - ٥ -

والآن ماذا ؟

القاتل الأعمى يغطي بيديه

جسد الجريمه

والرخ يبني عشه ثانيه

في حائط الهزيمه

سئمت وجه الرخ ..

والقاتل .. والمهزلة القديمه !

سئمت ..

هذا الصمت لن يجدي

والحزن لن يجدي

والشعر لن يجدي

أصبحت كالأعصار أعدو

راقصاً وحدي

- ٦ -

قضيتي وحدي

والنار من بعدي

١ / ١٢ / ١٩٦٧

# قنديلٌ في الضباب

مشهد تمثيلي قصير

( تلة رملية ، مطلة على حدود
الأرض المغتصبة .. يظهر من ورائها
عجوز فلسطيني وآخرون .. يتقدمون
تجاه التلة ، العجوز يمد ذراعين
مرتعشتين ، بينما يشير إلى رفاقه
ناحية الحدود .. الوقت فجر )

**العجوز** : مدينة التاريخ لاحت من بعيد
موحشة القباب

مغلقة الأبواب
قد أطفأت قنديلها الوحيد

**الآخرون** : من قال إنه انطفأ
لم ينطفىء
ها هوذا هناك شامخ
يطارد الظلام والضباب والصدأ

**العجوز** : عيناي كهلتان
كمثل عيني وطني الحزين كهلتان
يا ويلتاه
كأننا من قبل لم نكن

معذرة

هل نحن أم زماننا أسن

الآخرون : يا أبتاه ..

ليس يأسن الزمن

بل، يأسن الرجال

العجوز : كأن عالماً من الظلال

أقام عالماً من الظلال

أقام بعض الوقت ثم زال

كأن غيماً شفقاً ..

خضب الأفق قليلاً وانمحى

كأن حالماً ثم صحا

وما الذي ترون خلف هذه

الرمال ؟

**الآخرون** : تلك الحدائق التي تعرفها قد

قد أثمر النخيل فيها ..

وزها الزيتون

**العجوز** : كانت لنا ثم غدت لغيرنا

وفي الغد القادم قد لا تذكرون

إن غرستها بكفّي ..

سقيتها بأدمعي .. بعرقي

بضوء عينيّه

انظروا ثانية

**الآخرون** : نفس الدروب المتقاطعات

نفس الزخرف القديم

نفس الأبنيه
لكنما الأوجه غير الأوجه
التي عهدتها ..
والصوت غير الصوت ..
والراية غير الراية التي نسجتها

**العجوز** : الراية .. والوجوه
والصوص القادمون
وشجر الليمون
كان بلا أنين
كان يغني للنجوم والمطر
كان سلال زنبق ، وباقات زهر
واليوم لوثوه ..
لوثوا شفاهه .. وآحزني

أية لعنة تجر ظلها الكريه

فوق وطني

**الآخرون** : لا تكتئب يا أبتاه

فلم تمت فينا إرادة الحياه

**العجوز** : كانت هنا ديارنا

**الآخرون** : ولم تزل ديارنا

رغم عذاب النفي ..

لم تزل ديارنا

وتلك بياراتنا

أشجار برتقالنا

ليموننا ، نخيلنا

تاريخنا ، قبورنا

**العجوز** : يا ويلتا .. يا ويلتا

الآخرون : موعد ثأرنا أتى

العجوز : إذن لنسرع الخطى

لنسرع الخطى

( طلقات رصاص )

الجميـــع : الرصاص

طلقات رصاص

الغاضبون يطلقون

في ديارنا الرصاص

أحرقوا بيوتنا

وسرقوا حقولنا

واختبأوا خلف كرومنا

وشيدوا الأبراج والقصور

اختبأوا خلف القباب البيض

والزهور

تراب أرضنا يشدنا إليه

المجدل الجليل خلف نارهم

يهز راحتيه

يافا الجميلة إرفعي رأسك عاليا

ولا تنكّسيه

لا تخفضيه .. لا تخفضيه

أبناؤك المقدسون قادمون

فلتُغَط الأفق طلقات الرصاص

هذا هو القصاص

لا خلاص

للغاصب المحتل

لا خلاص

فليتكلم الرصاص

للغاصب المحتل

لا خلاص

لا خلاص

( ستار )

٢٠/٧/١٩٦٣

# العودة الى أرض الغربة

تحلم بالنار القناديلُ

وتحلم المعاول

برجفة الحقل ، وشهقة السنابلْ

وتحلم الصحراء ذات القمر المشنوق

بالقوافلْ

والجبل المهجورُ بالزلازلْ

وتحلم البحّارةُ الغرقى ..

باضواء المنارات ..

وأعشاب السواحل

وتحلم المقاصلْ

بالموت ، والقناع ..

مصلوباً على الأبواب والمداخل

* * *

وتحلم البنادقْ

بالدفء في أيدي الجنود ..

والدُّجى الصَّخريُّ بالحرائق

وتحلم الحبال والمشانق

والأفق القديم .. والدفوف ..

والبيارق ..

باوجُـهِ الخطاه

والمهرجين .. والطغاه

والملوثين .. الخونهْ

ذوي الشفاه النتِنَهْ

مطأطئين

معلقين

في سقوف الأزمنه

* * *

أحلم .. ثم أنفض الدهشة

عن عينيَّ ..

أستغرق في شعبي ..

من يوقظني ؟

من الذي يدق سجني ؟

من يهزني ؟

يخلع بوابة تاريخي ..

يضيئني

يخلقني

ينثرني حبة رمل في جبال وطني

يكتبني حرفاً صغيراً

في نضال وطني !

* * *

أحلم أنني لقيتـُهُ

وأننا تعانقنا معاً

وإنني غفوت في قصر

النعاس الخشنِ

هنيهةً على ذراع وطني

وأنني ..

وأنني ..

يا أيها العائد من غربته

يا وطني !

١٩٦٩/٦/١

# القادم عند الفجر

الآن . وأنت مسجى ..

أنت العاصفة . الرؤيا . التاريخ . الأوسمة .

الرايات ..

الآن ، وأنت تنام عميقاً تسكن في جنبيك الثورة ،

ترتد الخطوات ..

تعود الخيل . مطأطئة من رحلتها . مغرورقة

النظرات

الآن يقيم الموت سرادقه العالي ..
يتدفق كالأمطار على كل الساحات ..
الآن يكون الحزن عليك عظيماً .. والمأساة ..
تدوس على جثث الكلمات ..

* * *

الآن وهم يبكون كأن ملايين الأرحام ..
ولدتك ..
وإنك عشت ملايين الأعوام ..
وكأن اسم البطل المنحوت على حجر الأهرام ..
اسمك ..
وكأن يد العربي الأول ، تشعل كل مآذن مكة..
في ليل الصحراء .. يدك ..

وكأنك كنت تقـاتل تحت لواء محمد .. في مجد
الاسلام ..

وليلة ان سقطت خيبر ..
قبلت جبين عليٍّ مبتسما ..
ورحلت غريباً تحملك الأيام ..
لتبصر ظل جوادك عبر مواني بحر الروم ..
وتبني اهرامات أمية فوق جبال الشام ..

* * *

وحين تجيء سحابة هولاكو التتري ..
وتزحف أذرعة التنين ..
وتنهار الأشياء جميعاً ..
تولد ثانية في عصر صلاح الدين ..

* * *

لكأنك ـ ملفوفاً بوشاح بلادك ـ

آتٍ تواً من حطين..

وكأنك قد أرهقت، فنمت.. لتصحو بعد سنين..

* * *

عبد الناصر ..

عبد الناصر ..

أيدي الفقراء على ناقوس الثورة .. والفقراء ..

غرباء ومظلومين ..

زحموا الباب العالي، ومشوا فوق البسط الحمراء..

وخديوي مصر يطاطىء هامته ، بعد الخيلاء ..

أو أنت عرابي الواقف ، تحت الراية ..

ذو الصوت الآمر ..

أو أنت الراية يا عبد الناصر ..

أو أنت الثورة ، والشعب الثائر ..

* * *

دع لي بعض الزهرات أعلقهن على صدرك ..
دع لي بعض اللحظات ..
دع لي بعض الكلمات .. أقدمهن وفاء لك ..

* * *

يا من يتضاءل مجد الموت لدى عتبات علاه ..
يا من يتجسد ، وهو شموخ ، في قلب المأساة ..
يا عطر الأيام الحبلى بعذابات التكوين ..
يا من هو كل المهمومين ، وكل المظلومين ..
إني أصغي لصدى خطواتك في أرض فلسطين..
أو أنت القادم عند الفجر إلى أرض فلسطين .

* * *

عليك سلام الله ..

عليك سلام الله ..

# فهرست

## اذكريني يا افريقيا



## عاشق من افريقيا

## معزوفة لدرويش متجول

## سقوط دبشليم



## البطل والثورة والمشنقة